الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب والفنون
قسم الفنون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماسترفي الفنون

تخصص: فنون تشكيلية

المـــــوضـــوع:

الطبيعة كمصدر إلهام في الفن – نماذج من الجداريات بمدينة تلمسان

إعداد الطالبة:
✓ حري عائشة

إشـراف:
أ.د سعيدي محمد

لجنة المناقشة		
أ.د لعمى عبد الرحيم	جامعة تلمسان	رئيسا
د.بن يلس عبد الحكيم	جامعة تلمسان	ممتحنا
أ.د سعيدي محمد	جامعة تلمسان	مشرفا مقررا

العام الجامعي:1446-1447 هـ/ 2025– 2026 م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والذي وفّقني لإتمام هذا العمل العلمي المتواضع.

أهدي هذا الجهد إلى زوجي العزيز، السيناتور السيد "بلهبري ضياء الدين" الذي كان لي السند والرفيق في مختلف مراحل حياتي، فكان الأخ والأب والصديق، ومصدر قوة وطمأنينة ودعم لا ينقطع، كان حضوره نعمة عظيمة فكان دعمه المتواصل ومساندته الصادقة السبب في منحي الأمل للاستمرار، حتى في أصعب المراحل، وكان له الفضل الكبير في إعادة مسيرتي العلمية، من إعادة اجتياز شهادة الباكالوريا إلى الوصول إلى هذه المرحلة وتحقيق هذا الإنجاز وتجاوز الصعاب ومواصلة الطريق بثبات وثقة.

فله مني كل الحب والتقدير والامتنان، ولكل ما قدّمه من تضحية وصبر ووفاء، أهدي هذا العمل بكل فخر واعتزاز.

وإلى روح والدي العزيز، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وغفر له وجعل مثواه الجنة، وإني إذ أكتب هذه الكلمات، فإنني أستحضر مكانته العظيمة في قلبي وما تركه من أثر عميق لا يزول بمرور الزمن، فقد كان للعطاء والكرامة، وستبقى ذكراه حاضرة في وجداني ما حييت، أدعو له في كل حين، واستمد من دعائه السابق لي قوة وصبرا في مسيرتي.

وإلى ابني الوحيد "بلهبري محمد أورهان" الذي مثّل لي الأمل والمستقبل، ودافعا للاستمرار نحو الأفضل.

وإلى أمي الغالية، مصدر الحنان والدعاء، التي كانت ولا تزال سندي الروحي في كل خطوة، وأختي رفيقة دربي وعضدي في الحياة وإلى عائلتي الكريمة جميعا الذين كانوا لي سندا ودعما في مختلف المراحل.

كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى أختي الصغيرة "فاطمة الزهراء" التي كان لها فضل كبير في مساعدتي خلال إنجاز هذه المذكرة، فقد كانت نعم العون والدعم، ولم تبخل عليّ بالنصيحة والتشجيع في مختلف مراحل العمل، فكان حضورها ومساندتها محل تقدير وامتنان كبيرين.

وإلى صديقتين عزيزتين على قلبي "ب" و"خ" كانتا خير رفيقتين عزيزتين على قلبي، ساندتاني في لحظات التعب والتحدي، فلهما منّي كلّ التقدير والعرفان.

شكر وتقدير

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير إلى الدكتور "لعمى" على ما أولاه من اهتمام علمي دقيق، وما أسداه من توجيهات منهجية رصينة وملاحظات علمية قيمة كان لها بالغ الأثر في توجيه مسار هذا العمل وتصويب بنيته العلمية والفكرية، كما أعرب عن امتناني العميق لدعمه الأكاديمي المتواصل ومرافقته العلمية الهادفة، التي أسهمت بشكل جوهري في إنجاز هذه المذكرة وإخراجها في صورتها النهائية وفق منهج علمي سليم ومستوى أكاديمي مشرف.

كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى جميع أساتذتي الكرام الذين كان لهمك الفضل في تكويني العلمي والمعرفي خلال مساري الجامعي، وإلى طلبة قسم الفنون التشكيلية وإلى هذا القسم الأكاديمي الذي احتضن تجربتي العلمية والفنية، وكان فضاءًا خصبا للتعلم والتكوين وتبادل الخبرات، بما أسهم في صقل معارفي وتنمية مهاراتي وتوجيه مساري البحثي في أحسن صورة.

إلى كل من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد وإلى كلّ من كان له أثر طيب في هذه المسيرة، أهدي هذا العمل المتواضع، عرفانا وامتنانا.

مقدمة

مقدمة:

منذ أن وعى الإنسان بجماليات الوجود، اتخذ من الطبيعة مرآة لتأملاته ومجالا خصبا لإبداعاته، فغدت مكونا أساسيا في تشكيل رؤاه الفنية ومصدرا غنيا بالدلالات والرموز، وقد تجلى هذا الحضور بوضوح في الفن الجداري، الذي شكّل عبر مختلف المراحل التاريخية فضاءا بصريا يعكس العلاقة التفاعلية بين الإنسان وبيئته. وفي السياق المعاصر، لم تعد الجداريات مجرد تعبير جمالي، بل أضحت وسيلة لتجسيد الهوية الثقافية واستحضار الخصوصيات المحلية، خاصة في مدن ذات عمق حضاري كمدينة تلمسان، التي تزخر برصيد طبيعي وثقافي غني يجعلها مجالا ملائما لدراسة الطبيعة كمصدر إلهام فني.

يرتبط اختيار هذا الموضوع بدوافع ذاتية تتمثل في اهتمام الباحث بالفن الجداري وبالعلاقة الجمالية التي تربطه بالطبيعة، إلى جانب رغبته في استكشاف أبعاد هذا التفاعل. كما يستند إلى دوافع موضوعية تتمثل في أهمية الموضوع ضمن الدراسات الفنية المعاصرة، وندرة الأبحاث التي تناولت توظيف العناصر الطبيعية في الجداريات، خاصة في البيئة المحلية لمدينة تلمسان.

تنبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى إبراز دور الطبيعة كمصدر إلهام في الفن الجداري، والكشف عن أبعادها الجمالية والرمزية، إضافة إلى توضيح كيفية توظيفها في تعزيز الهوية الثقافية المحلية، بما يساهم في إثراء البحث الأكاديمي في مجال الفنون التشكيلية.

و قد استندت الدراسة إلى مجموعة من المراجع و الدراسات العربية و الأجنبية و الجزائرية التي تناولت موضوع الطبيعة في الفنون التشكيلية و الفن الجداري من زوايا مختلفة ، حيث ركزت بعض الدراسات الأجنبية على البعد البيئي و الرمزي للطبيعة داخل الجداريات المعاصرة؛ بينما اهتمت بعض الدراسات العربية بالعلاقة بين الفن الجداري و الهوية الثقافية ،في حين تناولت بعض الدراسات الجزائرية الجداريات المحلية بوصفها تعبيرا بصريا عن الواقع الثقافي و الإجتماعي .

غير أن أغلب هذه الدراسات ركزت على الجوانب الوصفية أو التاريخية للفن الجداري ، دون التعمق في دراسة الطبيعة باعتبارها مصدرا للإلهام يحمل أبعادا جمالية و رمزية داخل الجداريات المعاصرة

بمدينة تلمسان ، و هو ماتسعى هذه الدراسة إلى معالجته من خلال الكشف عن خصوصية توظيف الطبيعة داخل التجربة الجدارية التلمسانية .

وعلى الرغم من الحضور البارز للطبيعة في الفن الجداري المعاصر ، إلا أن هذا الحضور يثير نوعا من القلق المعرفي المرتبط بكيفية تحول العناصر الطبيعية من مجرد أشكال زخرفية إلى رموز و دلالات بصرية تعبر عن الهوية الثقافية و الخصوصية المحلية داخل العمل الجداري ، خاصة في ظل تنوع الأساليب الفنية و اختلاف المرجعيات التشكيلية لدى الفنانين المعاصرين و من هذا المنطلق تتمحور إشكالية الدراسة حول التساؤل التالي :

إلى أي مدى تشكّل الطبيعة مصدراللإلهام في الفن الجداري المعاصر؟ وكيف ينعكس توظيف عناصرها في إبراز الهوية الثقافية المحليةبمدينة تلمسان؟

ويندرج تحت هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية من بينها :

كيف تطور مفهوم الطبيعة فلسفيا و فنيا عبر التاريخ ؟

ماهي أهم العناصر الطبيعية الموظفة في الجداريات المعاصرة ؟

كيف تسهم الجداريات في إبراز الهوية المحلية و ترسيخ الوعي الجمالي و البيئي؟

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أنّ الطبيعة تعد من أبرز مصادر الإلهام في الفن الجداري، وأنّ توظيف عناصرها داخل الجداريات يسهم في إنتاج أبعاد جمالية ورمزية تعكس خصوصية الهوية الثقافية المحلية بمدينة تلمسان.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب لطبيعة الموضوع من خلال وصف الجداريات المختارة و تحليل عناصرها التشكيلية و الدلالية ، مع الإستعانة بالملاحظة الميدانية و التوثيق الفوتوغرافي و التحليل الفني للوصول إلى نتائج علمية دقيقة .

مقدمة:

تتمثل عينة الدراسة في مجموعة من الجداريات بمدينة تلمسان خلال الفترة المعاصرة، تم اختيارها بناءً على حضور العناصر الطبيعية فيها وارتباطها بالسياق المحلي.

استندت الدراسة إلى عدد من البحوث التي تناولت الفن الجداري والطبيعة، حيث تم توظيفها في بناء الإطار النظري وإبراز موقع الدراسة الحالية ضمن هذا الحقل المعرفي.

بناءا على طبيعة الموضوع وإشكاليته، تم اعتماد تقسيم ثلاثي يجمع بين التأصيل النظري والتطبيق الميداني، خصّص الفصل الأول للإطار المفاهيمي (مفهوم الطبيعة في الفن). أما الفصل الثاني (الطبيعة في الفن الجداري المعاصر)، في حين خصص الفصل الثالث للدراسة الميدانية من خلال تحليل نماذج من جداريات مدينة تلمسان للكشف عن تجليات الطبيعة وأبعادها الجمالية والرمزية.

واجهت الدراسة بعض الصعوبات من بينها محدودية المراجع المتخصصة المرتبطة بالموضوع، وصعوبة الوصول إلى بعض النماذج الجدارية ميدانيا، إضافة إلى ندرة الدراسات التطبيقية التي تناولت الفن الجداري المعاصر على المستوى المحلي.

و في ختام هذه المقدمة تتقدم الباحثة بخالص عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف على ما قدمه من توجيهات علمية قيمة و متابعة أكاديمية أسهمت في إنجاز هذا العمل، كما تتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بتقييم هذا العمل.

أنجزت هذه المذكرة بمدينة تلمسان، خلال الموسم الجامعي 2025- 2026.

من إعداد الطالبة : حري عائشة

الفصل الأول:

الإطار النظري والمفاهيمي للطبيعة في الفن

المبحث الأول: مفهوم الطبيعة في الفكر الإنساني والفلسفي

1. مفهوم الطبيعة لغة واصطلاحا:

يُعدّ تحديد مفهوم الطّبيعة خطوة أساسية في أي دراسة علمية أو فكرية، إذ يساعد على ضبط الدلالة التي يقصد بها المصطلح في سياقه المعرفي، وقد تعددت معاني الطبيعة بين اللّغة والاصطلاح، تبعا لاختلاف الحقول المعرفية التي تناولتها، من لغة وفلسفة وعلم.

أ. مفهوم الطبيعة لغة:

وردت كلمة الطبيعة في المعاجم العربية بمعان متعددة تدور في مجملها حول معنى الخلقة والفطرة والسجية.

جاء في "لسان العرب" أنّ الطبيعة هي: «السجية التي طُبع عليها الإنسان، ويقال طبع الله الخلق على طبائع مختلفة، أي على خصال وهيئات مخصوصة»[1].كما تطلق الطبيعة على الخلقة الأصلية؛ أي الهيئة التي يكون عليها الشيء في نشأته الأولى.

وفي القاموس المحيط، تعني الطبيعة: الخلقة والجبلة وما فطر عليه الشيء من خصائص وصفات[2]. ويُفهم من ذلك أن الطبيعة تشير إلى البنية الاصلية للأشياء، سواء تعلق الأمر بالإنسان أو بغيره من الموجودات.

كما تدل الطبيعة لغويا على ما يقابل الصنعة، أي ما هو موجود بذاته دون تدخل الإنسان، فتقال الطبيعة في مقابل الاصطناع، للدلالة على العالم الخارجي غير المصنوع يدويا.

وعليه يمكن القول إنّ معنى الطبيعة لغويا يتمحور حول:

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (طبع)، دار صادر، بيروت، د. ت، ج 8، ص 87.

[2]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (طبع)، دار الفكر، بيروت، د. ت، ص 1056.

- ✓ الخلقة الأولى
- ✓ والسجية والفطرة
- ✓ والهيئة الاصلية للأشياء

ب.مفهوم الطبيعة اصطلاحا:

يختلف تعريف الطبيعة اصطلاحا باختلاف الحقول المعرفية و الفكرية، غير أنّها تشترك في الإشارة إلى مجموع الموجودات والقوانين التي تحكمها.

يعرّفها الجرجاني في كتابه التّعريفات بأنّها: «مبدأ الحركة والسكون في الشيء من حيث هو كذلك»[1]، أي أنّ الطّبيعة هي القوة الداخلية التي تجعل الشيء يتحرك أو يسكن وفق نظام خاص به، وهو تعريف ذو طابع فلسفي مستمدّ من الفكر الأرسطي.

كما تعرف الطبيعة اصطلاحا بأنّها: مجموع الظواهر المادية التي تحيط بالإنسان، وتخضع لقوانين ثابتة يمكن إدراكها بالعقل والملاحظة، مثل الأرض والسماء والماء والنبات والحيوان.

وفي الاصطلاح العام، نستعمل الطبيعة للدلالة على العالم الفيزيائي غير المصنوع، أي مجموع الكائنات والظواهر التي لم يتدخل الإنسان في صنعها، والتي تشكّل الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويتفاعل معه.

وبذلك يمكن تحديد المعنى الاصطلاحي للطبيعة في ثلاثة أبعاد:

- ➢ **بعد مادي:** يتمثل في الموجودات والظواهر الطبيعية
- ➢ **بعد قانوني:** يتمثل في القوانين التي تحكم هذه الظواهر
- ➢ **بعد فلسفي:** يتمثل في كونها مبدأ للحركة والتغير في الاشياء

[1]- الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ص 178.

2. مفهوم الطبيعة في الفكر الفلسفي (اليوناني– الإسلامي– الحديث):

احتل مفهوم الطبيعة مكانة محورية في التفكير الفلسفي منذ بداياته الأولى، إذ ارتبط بسؤال أصل الكون وتنظيمه، وبمحاولة الإنسان فهم القوانين التي تحكم الظواهر المحيطة به وقد اختلفت تصورات الفلاسفة للطبيعة باختلاف السياقات الحضارية والفكرية، فظهرت عند اليونان كمبدأ كوني منظّم، وعند فلاسفة الإسلام كمخلوق إلهي تحكمه الحكمة، وفي الفلسفة الحديثة كموضوع للعلم والعقل والتجربة.

1. الطبيعة في الفكر الفلسفي اليوناني:

سعى الفلاسفة اليونان إلى تفسير الطبيعة تفسيرا عقليا بعيدا عن الأسطورة، فاعتبروها نظاما يخضع لقوانين ثابتة. وقد تبلور هذا التصور خاصة مع الفلسفة الكلاسيكية.

يرى "أرسطو" أنّ الطبيعة هي مبدأ الحركة والتغير في الأشياء، أي أنّ لكل كائن طبيعي سببا داخليا لحركته ونموه. فالطبيعة ليست مجرّد مادّة، بل قوّة فاعلة تعمل في ذاتها غاية تتحقّق تدريجيا، وقد ميّز بين الموجودات الطبيعية التي تتحرك بذاتها، والموجودات الصناعية التي تحتاج إلى فاعل خارجي[1].

أمّا "أفلاطون" فقد قدّم تصوّرا مثاليا للطبيعة، حيث اعتبر العالم الطبيعي عالما حسّيا متغيّرا لا يرقى إلى مستوى الحقيقة الكاملة، لأنّ الحقيقة توجد في عالم المثل الثابتة. فالأشياء الطبيعية ليست سوى صور ناقصة لتلك المثل، ومن تم فإنّ المعرفة الحقة تتحقق بالعقل لا بالحواس[2].

ويفهم من ذلك أنّ الفكر اليوناني قدّم تصوّرين للطبيعة:

- ✓ تصورا واقعيا غائيا عند أرسطو
- ✓ تصوّرا مثاليا ميتافيزيقيا عند أفلاطون

---

[1]– أرسطو، الطبيعيات، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، 1980، ص 25.

[2]– أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، البيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ص 112.

2. الطبيعة في الفكر الفلسفي الإسلامي:

انطلقت الفلسفة الإسلامية في نظرها إلى الطبيعة من الإطار الديني الذي يرى الكون مخلوقا بإرادة الله، وأنّ الطبيعة ليست مستقلة بذاتها، بل خاضعة لمشيئته وقوانينه، ومع ذلك لم يمنع هذا التصوّر من الاهتمام بدراسة الظواهر الطبيعية، بل اعتبرت طريقة لمعرفة الخالق.

يرى الفارابي أنّ الطبيعة نظام منسجم يدلّ على حكمة الصانع وأنّ الموجودات تخضع لقوانين ثابتة وضعها الله، ويمكن للعقل إدراكها وفهمها[1].

أمّا ابن سينا فقد اعتبر الطبيعة مبدأ للحركة في الأجسام، وميّز بين العلل الطبيعية والعلّة الأولى الإلهية، مؤكّدا أنّ الظواهر الطبيعية تخضع للسببية، لكنها في النهاية صادرة عن إرادة الله[2].

وفي اتجاه نقدي، ذهب الغزالي إلى أنّ ما يبدو لنا من انتظام في الطبيعة ليس ضرورة عقلية، بل هو عادة أجراها الله في الكون، ويمكنه خرقها متى شاء، وهو ما يؤكد أنّ الله هو الفاعل الحقيقي وراء الظّواهر الطبيعية[3].

يتضح من ذلك أنّ الفكر الإسلامي نظر إلى الطبيعة بوصفها:

- ✓ مخلوقا إلهيا
- ✓ خاضعا لقوانين يمكن للعقل دراستها
- ✓ ودليلا على وجود الله وحكمته.

---

[1]- الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق علي بوملحم، دار المشرق، بيروت، 1993، ص 67.

[2]- ابن سينا، الشفاء (الطبيعيات)، تحقيق إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ص 41.

[3]- حامد أبو الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1996، ص 172.

3. الطبيعة في الفكر الفلسفي الحديث:

شهد العصر الحديث تحوّلا جذريا في مفهوم الطبيعة، حيث ارتبط بالعلم والعقل والتجربة، وتحرّر من التفسير الديني المباشر.

يرى ديكارت أنّ الطبيعة آلة ضخمة تعمل وفق قوانين رياضية دقيقة، ويمكن للإنسان فهمها والسيطرة عليها بواسطة العقل، فالطبيعة في نظره تخضع لمبدأ الحتمية الميكانيكية ولا تحمل غايات في ذاتها[1].

أمّا سبينوزا فقد وحّد بين الله والطبيعة، فاعتبر أنّ الطبيعة هي جوهر واحد لا نهائي، وأنّ كل الموجودات خاضعة لنظام ضروري واحد، والإنسان جزء من هذا النظام الكوني[2].

وفي اتجاه مختلف، رأى "جان جاك روسو" أنّ الطبيعة تمثل الحالة الأولى النقية للإنسان قبل فساد المجتمع، وأنّ العودة إلى الطبيعة تعني العودة إلى الحرية والبراءة والانسجام[3].

وهكذا أصبحت الطبيعة في الفكر الحديث:

- ✓ موضوعا للعلم والتجربة
- ✓ مجالا للسيطرة النفسية
- ✓ وفي الوقت نفسه رمزا للحرية والنقاء

---

[1]- ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، 1985، ص 33.

[2]- سبينوزا، الأخلاق، ترجمة جميل صليبا، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1994، ص 45.

[3]- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت بين الناس، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة، 1958، ص 61.

3. العلاقة بين الإنسان والطبيعة:

تعدّ العلاقة بين الإنسان والطبيعة من القضايا المركزية في الفكر الفلسفي، إذ ترتبط بسؤال الوجود والمعرفة والقيم، وبكيفية تموضع الإنسان داخل العالم الطبيعي، فقد نظر الإنسان إلى الطبيعة تارة بوصفها قوّة مهيمنة عليه، وتارة بوصفها موضوعا للمعرفة والسيطرة، وتارة أخرى باعتبارها مجالا للانسجام والتكامل الجمالي والروحي، ويكشف تطوّر هذه العلاقة عن تحوّل نظرة الإنسان إلى ذاته وإلى محيطه الطبيعي عبر التاريخ.

1) العلاقة بين الإنسان والطبيعة في الفكر القديم:

في الفكر القديم لم يكن الإنسان منفصلا عن الطبيعة، بل كان ينظر إليه بوصفه جزءا منها وخاضعا لقوانينها، فقد اعتبر فلاسفة اليونان أنّ الطبيعة نظام منسجم، وأنّ الإنسان كائن طبيعي يعيش داخل هذا النظام.

يرى "أرسطو" أنّ الإنسان كائن طبيعي يسعى إلى تحقيق غايته وفق طبيعته الخاصة، شأنه شأن باقي الموجودات .فالطبيعة عنده ليست مجرّد محيط خارجي، بل مبدأ داخلي يوجّه الكائنات نحو كمالها، ومن تم فإنّ علاقة الإنسان بالطبيعة تقوم على التكيف والانسجام مع قوانينها[1].

أمّا "أفلاطون" فقد ميّز بين العالم الحسّي الطبيعي والعالم العقلي المثالي، وهو ما جعل علاقة الإنسان بالطبيعة علاقة معرفية غير مكتملة، لأنّ الحقيقة لا تتحقق في الطبيعة وحدها بل في عالم المثل، ومع ذلك تظلّ الطبيعة مجالا لتجلّي الصّور الناقصة لتلك الحقائق الكاملة[2].

---

[1]- أرسطو، الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، 1983، ص 35.

[2]- أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ص 115.

2) العلاقة بين الإنسان والطبيعة في الفكر الإسلامي:

في الفكر الإسلامي تقوم العلاقة بين الإنسان والطبيعة على مبدأ الاستخلاف، أي أنّ الإنسان مستخلف في الأرض ومسؤول عن إعمارها وعدم الإفساد فيها، فالطبيعة مخلوقة بإرادة الله، والإنسان جزء منها، لكنّه يتميّز عنها بالعقل والتكليف.

يرى ابن سينا أنّ الطبيعة تخضع لقوانين ثابتة يمكن للعقل الإنساني اكتشافها غير أنّ هذه القوانين ليست مستقلة عن الإرادة الإلهية. فالإنسان مدعوا إلى دراسة الطبيعة لفهم نظامها، لا للهيمنة المطلقة عليها[1].

وفي المقابل يؤكّد الغزالي أنّ الإنسان لا يملك سلطة حقيقية على الطبيعة ، بل كل ما يحدث فيها إنّما يجري بإرادة الله، وهو ما يجعل «علاقة الإنسان بها علاقة تواضع ومسؤولية لا علاقة استغلال مطلق»[2].

ومن تم تقوم العلاقة بين الإنسان والطبيعة في الفكر الإسلامي على:

3. التوازن بين العقل والإيمان
4. المسؤولية الأخلاقية في التعامل مع الطبيعة
5. النظر إليها بوصفها آية من آيات الخلق

3) العلاقة بين الإنسان والطبيعة في الفكر الحديث:

شهد العصر الحديث تحولا كبيرا في هذه العلاقة، حيث انتقل الإنسان من موقع التبعية للطبيعة إلى موقع السيطرة عليها بفضل العلم والتقنية.

---

[1]- ابن سينا، الشفاء (الطبيعيات)، تحقيق إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ص 44.

[2]- الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ج 2، ص 71.

يرى "ديكارت" أنّ الإنسان يستطيع أن يصبح "سيدا ومالكا للطبيعة" بفضل المعرفة العلمية، وأنّ الطبيعة ليست سوى آلة ضخته يمكن تحليلها وفهمها والتحكم فيها وفق قوانين رياضية دقيقة[1]، وقد أدّى هذا التصوّر إلى نشوء علاقة نفعية تقوم على الاستغلال والسيطرة.

غير أنّ بعض الفلاسفة انتقدوا هذه الرؤية، ودعوا إلى إعادة الاعتبار للعلاقة الانسجامية بين الإنسان والطبيعة، فقد رأى "جان جاك روسو" أنّ الإنسان في حالته الطبيعية كان يعيش في انسجام مع الطبيعة، وأنّ الحضارة أفسدت هذه العلاقة فزرعت الصّراع والتفاوت[2].

وفي الفلسفة المعاصرة برز وعي جديد بضرورة حماية الطبيعة واحترامها، بعد أن تبيّن أنّ الاستغلال المفرط لها يؤدي إلى اختلال التوازن البيئي وتهديد الوجود الإنساني نفسه.

4) العلاقة بين الإنسان والطبيعة بين البعد المعرفي والبعد الجمالي:

لا تقتصر علاقة الإنسان بالطبيعة على بعدها العلمي أو النفعي، بل تمتد إلى بعدها الجمالي والرمزي، فالطبيعة تعدّ مصدرا أساسيا للإحساس بالجمال، ومجالا لتجلّي الانسجام والتنوّع والإيقاع، وقد وجد الإنسان في الطبيعة نموذجا للتوازن بين الوحدة والتعدّد، وهو ما جعله يستلهمها في الفنون والآداب.

ومن تم يمكن القول أنّ علاقة الإنسان بالطبيعة هي علاقة:

- معرفية لفهم قوانينها
- ونفعية لاستثمار مواردها
- جمالية لاستلهام جمالها
- أخلاقية لاحترام نظامها والحفاظ عليها.

---

[1]- ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة جميل صليبا، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1992، ص 47.

[2]- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت بين النّاس، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة، 1958، ص 63.

المبحث الثاني: الطبيعة كمصدر إلهام فني عبر التاريخ

1. الطبيعة في الفنون البدائية والقديمة:

كانت نشاطات الإنسان القديم مشروطة إلى حدّ بعيد ببيئته القاسية التي تتدخل في تفكيره وتثير فيه نوعا من الخوف وعدم الراحة وذلك من خلال رؤيته إلى الطبيعة رؤية ملؤها الخوف والرجاء[1]، فضلا على أنّها رؤية غامضة بفعل الحواس وغرائزه الوجودية، فلقد ولد الفن بمولد الإنسان منذ أقدم العصور معبّرا عن ذلك بأشكال وألوان وخطوط على جدران الكهوف وكانت فكرة الشكل الحيواني طاغية جعلته يصوّر الشكل الإنساني بهيئة حيوان متحرّك مسيطر[2]برسومات جدارية داخل الكهوف، حيث مثل الحيوانات الكبيرة كذلك مثل: الثيران البرية، الغزلان والخيول... بأسلوب مباشر يركّز على الخطوط الأساسية والحركة[3].

تميّزت هذه الحضارة بطابع العنف وتوقّع المفاجئات فقد حاول الإنسان القديم أن يحوّل الأشياء التي تحيط به إلى رموز ذات دلالة تعبيرية[4]، فالأشكال الطبيعية والأشكال التجريدية (الهندسية والنباتية) وحتى الأشياء التي يقوم بصياغتها كلّها تمثّل رموزا، إذ لم تكن الرسوم ذات طابع زخرفي بل ارتبطت بطقوس سحرية تهدف إلى السيطرة الرمزية على الحيوان قبل صيده، إنّ التعبير الرمزي في التصوير والتمثيل التشكيلي هو بمثابة قوة سحرية يصطنعها الإنسان للسيطرة على عواطفه حسب ما صور له.

---

[1]- أفداء حسين أبو دسة، خلود بدر غيث، تاريخ الفن عبر العصور، الإعمار العلمي للنشر والتوزيع، ط 2012، ص 15.

[2]- ريد هربرت، معنى الفن، دار الشؤون الثقافية العامة، ترجمة سامي، بغداد، ط 2، 1986، ص 22.

[3]- أفداء حسين أبو دسة، خلود بدر غيث، تاريخ الفن عبر العصور، الإعمار العلمي للنشر والتوزيع، ط 1، 2012، ص 15.

[4]- عبد الرحيم حمادي المهدي، الرمزية في رسومات الإنسان البدائي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 29، العدد 9، 2021، ص 229.

استطاع الإنسان القديم أن يحوّل جميع مظاهر الحياة (المدركات الحسّية) إلى رموز ومفاهيم كانت بمثابة الوسيط بين الطبيعة في بنيتها المادية وعالم الميتافيزيقا[1]، فعالم الأشكال والرموز بالنسبة إليه عالم سهل ومرن، فسيح وطليق، غيبي وقوته المدركة التي تستطيع أن تمارس طاقاتها على الطبيعة كانت تمارس طاقاتها فيه ونشاطات نجد أمّنها فيه[2]، كما أنّه لجأ إلى السحر والذي يمثل ممارسات وأفعال تقوم أساسا على اعتقاد أنّ الأمور والعمليات الكونية يمكن السيطرة عليها عن طريق أفعال تؤثر في العناصر والعوامل الطبيعية وبهذا ظهر الفن كوظيفة عقائدية كان الهدف منها هو السيطرة على الطبيعة أو على الحيوانات لغرض تحفيز تكاثر الحيوانات المصطادة عبر نظام طقوسي سحري[3]، بعض الرسومات حملت دلالات مرتبطة بالخصوبة واستمرار النوع وهذا يدلّ على وعي مبكّر بقوى الطبيعة ودورها في الحياة[4]، بالإضافة إلى استخدامه في إنجاز أعماله الفنية مواد مستخرجة من الطبيعة نفسها مثل: الفحم النباتي، وأكاسيد الحديد، والطين، ممّا يعكس وحدة الوسيط الفني والموضوع المصوّر وهكذا يتجلّى أنّ الطبيعة في الفن البدائي لم تكن مجرّد موضوع للرؤية البصرية بل كانت مجالا للاعتقاد والسحر والطقس الديني[5].

كان للطبيعة حضور واضح في الفنون القديمة، غير أنّ طريقة تمثيلها اختلفت من حضارة إلى أخرى، ففي الحضارة المصرية القديمة ارتبطت الطبيعة بالنظام الكوني والخلود، فيبرز النيل والنباتات والحيوانات المقدسة ضمن تنظيم صارم ودلالة دينية واضحة[6]،بينما عكست الطبيعة في فنون بلاد الرافدين علاقة الصراع والسيطرة من خلال مشاهد الصيد والحيوانات القوية[7]،وفي الفن اليوناني القديم أصبحت الطبيعة نموذجا للجمال والتناسق، حيث سعى الفنانون إلى تمثيل الإنسان والعالم الطبيعي وفق

---

(1)- عبد الرحيم حمادي المهدي، الرمزية في رسومات الإنسان البدائي، ص 230.

(2)- آدمين، آرون، الفنون والإنسان، ترجمة حمزة محمد الشيخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1965، ص 20.

(3)- عبد الرحيم حمادي المهدي، الرمزية في رسومات الإنسان البدائي، ص 23.

(4)- عبد الحميد شاكر، تاريخ الفن القديم، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص 21.

(5)- أفداء حسين أبو دسة، خلود بدر غيث، تاريخ الفن عبر العصور، ص 15، ص 19.

(6)- أفداء حسين أبو دسة، خلود بدر غيث، تاريخ الفن عبر العصور، ص 27- 36- 37- 41.

(7)- المرجع نفسه، ص 57- 60.

قواعد النسبة والانسجام[1]، وفي الفن الروماني ظهرت الطبيعة كخلفية جمالية أقرب إلى الواقع ضمن الجداريات والفسيفساء[2]، وفي حين خضعت في الفن البيزنطي للبعد الروحي فأصبحت رمزية ومبسطة وغابت كموضوع مستقل[3]، أما في الفن الرومانسيكي فقد استعملت الطبيعة في إطار زخرفي ورمزي داخل العمارة الدينية[4]، وأخيرا في الفن الإسلامي تحوّلت عناصر الطبيعة إلى زخارف نباتية وهندسية مجرّدة ترمز إلى النظام الكوني والجنة واللانهاية بدل تمثيلها تشخيصيا مباشرا[5].

2. الطبيعة في الفن الغربي (من الكلاسيكية إلى الحداثة):

شهد تمثيل الطبيعة في عصر النهوض تحوّلات واضحة عبر مراحل مختلفة، بدءًا من عصر الملكة (عصر النهضة المبكر) حيث كانت الطبيعة توظف لتأكيد الفخامة والقوة، وظهرت في المناظر الطبيعية والحدائق والجداريات المزخرفة بأسلوب درامي، مع تباين شديد بين الضوء والظل لإبراز الجلال والديناميكية[6].ومع عصر النهوض الذهبي توسع الاهتمام بالمناظر الطبيعية باعتبارها مجالا للجمال والاعتدال، فتم تصوير الحدائق والمناظر الخلابة بدقة وانسجام، مع ألوان ناعمة وتفاصيل دقيقة تعكس ذوق المجتمع الرفيع[7]، ثم في مرحلة الباروك تحوّلت الطبيعة إلى أداة لإثارة الانفعال، حيث صوّرت مشاهدها بأسلوب درامي مليء بالحركة والتباين اللّوني لإظهار الصراع الإنساني مع الفنون الكونية أو

---

[1]- المرجع نفسه، ص 63- 64- 69- 72.

[2]- المرجع نفسه، ص 73- 74.

[3]- المرجع نفسه، ص 85- 86.

[4]- المرجع نفسه، ص 91- 94.

[5]- المرجع نفسه، ص 98- 100.

[6]- أفداء حسين أبو دسة، خلود بدر غيث، تاريخ الفن عبر العصور، دار الإعمار العلمي للنشر والتوزيع، ط 1، 2012، ص 125- 129.

[7]- أفداء حسين أبو دسة، خلود بدر غيث، تاريخ الفن عبر العصور، ص 141- 142.

الجلال الملكي والديناميكية الروحية[1]. وفي المرحلة الأخيرة في الركوكو صوّرت الطّبيعة بأسلوب فاتحة وخطوط منحنية، لتصبح رمزا للمرح والحياة اليومية، بعيدا عن الجدية والدرامية التي ميّزت الباروك[2].

3. الطبيعة في الفن المعاصر:

عرف الفن المعاصر تحوّلات واضحة في نظرة الفنان إلى الطبيعة وفي طريقة توظيفها داخل العمل الفني. فلم تعد الطبيعة مجرّد موضوع للمحاكاة أو التمثيل كما كان الحال في الفترات السابقة، بل أصبحت مجالا للتجريب والتأمل الفكري والجمالي[3]. فقد أصبح الفنان المعاصر ينظر إلى الطبيعة باعتبارها مصدرا غنيا للأفكار الجمالية والتعبيرية، حيث يستلهم عناصرها وأشكالها ويعيد صياغتها داخل العمل الفني بطرق جديدة تعكس حساسيته الفنية ورؤيته للعالم[4].

كما اتجه العديد من الفنانين المعاصرين إلى استلهام عناصر الطبيعة وتوظيفها بأساليب متنوعة، سواء من خلال معالجتها داخل اللّوحة التشكيلية أو عبر إدماج مواد طبيعية في العمل الفني[5] وقد أدى هذا التوجه إلى ظهور اتجاهات فنية حديثة تهتم بالطبيعة والبيئة مثل الفن البيئي وفن الأرض، حيث يتم إنجاز العمل الفني في الفضاء الطبيعي أو باستعمال عناصره المختلفة، وهو ما يعكس اهتمام الفنان المعاصر بالعلاقة بين الإنسان والطبيعة وبالقضايا البيئية التي أصبحت من أهمّ موضوعات الفن في العصر الحديث[6].

---

[1]- أفداء حسين أبو دسة، خلود بدر غيث، تاريخ الفن عبر العصور، ص 145- 156.

[2]- المرجع نفسه، ص 163- 165.

[3]- د. حسين ميلاد أبو شعالة، الفن التشكيلي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، كلية الآداب والعلوم قصر الأخبار، جامعة المرقب، المجلد 8، العدد 16، 2020، ص 102.

[4]- هربرت ريد، معنى الفن، ترجمة سامي خشبة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ص 85.

[5]- رانيا محمد رزق، النسق الزخرفي للخط في بحوث في التربية الفنية والفنون، مختارات من الفن الحديث كمدخل لإثراء التصميم الزخرفي، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، المجلد 23، العدد 3، ص 168.

[6]- آلاء الله أحمد عبد الرحمن عميرة، الرأسمالية الخضراء والتنمية المستدامة في الفلسفة الإيكولوجية وانعكاسها في الفن المعاصر، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، المجلد 22، العدد 1، 2021، ص 105.

المبحث الثالث: الجدارية كوسيط فني تعبيري

1. مفهوم الفن الجداري:

الفن الجداري هو ذلك الفن التشكيلي الذي ينفذ مباشرة على الجدران والأسطح المعمارية الثابتة[1]سواء في الأماكن المغلقة (كدور العبادة، القصور، المتاحف، المدارس، المستشفيات)أو في الأماكن المفتوحة (كشوارع المدن، ساحاتها العامة، أسوار المؤسسات، جدران المباني السكنية). ويشتق مصطلح "جداري" من كلمة "جدار"، أي ذلك الحاجز المعماري الرأسي (أو الأفقي أحيانا) الذي يفصل بين الفراغات الداخلية والخارجية، وتستخدم مخططات أخرى للإشارة إلى هذا الفن، منها "جداريات" و"فن الحائط" و"مورال" (Mural) المشتقة من الكلمة اللاتينية (Murus) التي تعني جدار، وتستخدم في اللغات الأوروبية للإشارة إلى اللّوحات الجدارية الضخمة[2].

يعدّ الفن الجداري من أقدم أشكال التعبير الفني التي عرفها الإنسان على الإطلاق حيث كان الجدار بمثابة اللوحة الأولى التي سجل عليها إبداعاته وتصوّراته ومعتقداته وأحداث يومياته ويتميّز هذا الفن بطابعه العام والجماهيري والديمقراطي، فهو موجه إلى الناس كافة وليس نخبة خاصة من النقاد أو الجامعيين، ويحمل في طياته رسائل اجتماعية وثقافية وسياسية ودينية وبيئية، ويخاطب عامّة الناس بلغة بصرية مفهومة ومباشرة أحيانا، ورمزية غامضة أحيانا أخرى. وقد عرّفه الباحث "عبد العظيم السعيد مصطفى" بأنّه: «أوّل لغة عرفها الإنسان للتعبير على علاقته بالعالم والآلهة، وهو فن التواصل الجمعي بامتياز»[3].

---

[1]- أسامة عبد العظيم السعيد مصطفى، فن الجداريات: أصوله وتقنياته، مجلة بحوث التربية النوعية، العدد 28، 2013، ص 580.

[2] -Kastner, Jeffrey (ED), Land and environmental Art, London, (2), Phaidon Press, 2nd edition, 2018, p 45- 78.

[3]- أرسطو، كتاب الطبيعة (فيزياء)، ترجمة عبد القادر قنيني، بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة (2)، 1985، ص 45.

2. نشأة وتطوّر الفن الجداري عبر العصور المختلفة:

يعدّ الفنّ الجداري من الفنون التي لها عمق فني ثقافي امتدّ عبر حضارات وعصور تاريخية، يختلف في هدفه ووظيفته من عصر إلى عصر إذ أنّه بدأ في كهوف ما قبل التاريخ، وتطوّر في الحضارات القديمة (المصرية- الرافدية- الرومانية)، باستخدام تقنيات مثل الفسيفساء والفريسكو (التصوير الجصي) في العصور الإسلامية، تجلى في الزخارف الجصية والزليج (الخزف) التي غطت جدران المساجد والقصور وفي العصر الحديث أخذ الفن الجداري أبعادا سياسية واجتماعية وصولا إلى فن الشارع (Graffiti) المعاصر الذي يمزج بين الاحتجاج، الهوية، والجماليات الحضرية.

سوف نتناول في هذا السياق عرض التطور الجداري في بعض العصور والحضارات المختلفة ومنها:

1) **جداريات العصر البدائي:** وجدت على جدران الكهوف على هيئة رموز محفورة ومنقوشة وأخرى مرسومة فلم تكن تلك الرسومات تتجاوز غرض السحر كان الفنان يخدش بقطعة من الحجر الصوان على جدران الكهوف، شكل إنسان يضرب ثورا وفي بعض الأحيان الأخرى كانت الأعمال بدافع السحر وبعض الطقوس الخاصة به قبل عملية الصيد وقد كانت هذه الرسومات برغم بساطتها البدائية تمثّل أوّل لغة بصرية عرفها البشر قبل اختراعه الكتابة بآلاف السنين[1].

2) **جداريات العصر المصري القديم:** احتلت الجدارية مكانة مركزية في الفن المصري، حيث زينت جدران المعابد والمقابر برسومات ذات دلالات دينية ورمزية، وقد صورت الجداريات

[1]- حلا الصابون وعلي السرميني (2009)، الفن الجداري الأستوري، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 25، العدد 1، ص 6.

المصرية مشاهد من الحياة اليومية والطقوس الدينية، معتمدة على أسلوب مميّز يجمع بين الواقعية والرمزية[1].

3) **جداريات العصر الروماني**: انتشرت الجداريات في القصور والمنازل الثرية حيث صورت المناظر الطبيعية والأساطير والحياة اليومية، وقد تطورت تقنيات الرسم الجداري، خاصة تقنية الفريسكو التي تعتمد على دمج الألوان مع الجص الرطب، وفي العصور الوسطى، انتشرت الجداريات في الكنائس والأديرة حيث صورت المواضيع الدينية بأسلوب رمزي[2].

4) **جدارات عصر النهضة**: شهد تطوّرا كبيرا في فن الجدارية، حيث أنجز فنانون مثل "مايكل أنجيلو" و"ليوناردو دافينشي" تحفا جدارية خالدة، كجداريات سقف كنيسة السيستينا، وقد تطورت تقنيات المنظور والظلال في الجداريات، مما أضفى عليها واقعية أكبر. أمّا في القرن العشرين فقد شهدت الجدارية تجديدا في المكسيك مع حركة الجدارية المكسيكية التي قادها فنانون مثل "ديبغو ريفيرا" و"دافيد الفار و سيكيروس"[3].

5) **جداريات العصر الحديث**: لجأ فنانوا العصر الحديث إلى الهروب من آثار الحرب والخراب والتدمير إلى التمرّد من قيود المنطق العقلي ومعرفة المجهول واكتشاف ما وراء الطبيعة والبحث عن مفاهيم فنية تتواكب مع المتغيرات السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والثورة العلمية والصناعية التي حدثت منذ ذلك الحين، وقدموا حلولا جمالية جديدة أمام الفن بصفة عامة وفن الجداريات بصفة خاصّة من خلال الصياغات التشكيلية الجديدة وواسعة النطاق والتي تتفق مع ملامح الفن المعماري المعاصر، واستخدامهم مقومات العصر التكنولوجية وتناولها خامات

---

[1]- محمد أنور شكري، الفن المصري القديم منذ أقدم عصوره حتى نهاية الدولة القديمة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص 4- ص 5.

[2]- مصطفى عبد العظيم السعيد، نشأة وتطور الفن الجداري عبر العصور المختلفة، مجلة العمارة والفنون، العدد 12، 2013، ص 112- ص 130.

[3]- بركات سعيد محمد، الفن الجداري، عالم الكتب، الطبعة 1، القاهرة، ص 9.

جديدة متعددة معبّرين عن أفكارهم واتجاهاتهم الفنية، ومنها: الحديد، الخردة، والأشكال جاهزة الصنع والخامات الأثيرية مثل الضوء واللّيزر[1].

3. خصائص الجداريات ووظائفها الجمالية والاجتماعية:

تتميز الجدارية بمجموعة من الخصائص الفنية التي تميزها عن باقي الفنون التشكيلية، فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالفضاء المعماري الذي تنفذ عليه، إذ لا تنجز كعمل مستقل بل تكون جزءًا من الجدار أو البناء، مما يفرض على الفضاء مراعاة أبعاد المكان وشكله المعماري عند تصميم العمل. كما تتسم الجدارية غالبا بالحجم الكبير والوضوح البصري حتى تكون قابلة للمشاهدة من مسافات بعيدة، لذلك يعتمد الفنان على تكوينات واضحة وألوان بارزة، إضافة إلى ذلك تتميز بطابعها الجماهيري لأنها توجد في الفضاءات العامة، كما تعتمد على مواد وتقنيات قادرة على مقاومة الزمن والعوامل الطبيعية، مما يمنحها صفة الاستمرارية والديمومة[2].

- **الوظائف الجمالية للجدارية:** تؤدّي الجدارية دورا جماليا مهما في الفضاء العمراني، حيث تساهم في تجميل الجدران والمساحات العامة وتحويلها إلى فضاءات فنّية ذات قيمة بصرية، كما تساعد على كسر رتابة الجدران الصماء وإضفاء التنوّع اللّوني والتكويني على البيئة المعمارية، مما يخلق نوعا من الانسجام بين الفن والعمارة ويمنح المكان بعدا جماليا يثري تجربة المشاهدة لدى المتلقي[3].
- **الوظائف الاجتماعية للجدارية:** لا تقتصر الجدارية على الجانب الجمالي فقط بل تؤدي أيضا وظائف اجتماعية وثقافية مهمة، إذ تعبّر عن هوية المجتمع وقيمته وتاريخه من خلال الموضوعات

---

[1]- نرمين فتحي المصري، الجداريات المعاصرة وتنمية الثقافة البصرية في المجتمع المصري، الفنون الجميلة في مصر في 100 عام من الإبداع، القاهرة، ص 4.

[2]- الدكتور بركات سعيد محمد، الفن الجداري (الخامة، الغرض، الموضوعات)، عالم الكتب، الطبعة 1، القاهرة، 2008، ص 95.

[3]- جميل حمداوي، الفن الجداري بين الجمالية والوظيفة الاجتماعية، مجلة الفنون التشكيلية، العدد 12، 2014، ص 45.

والرموز التي تتناولها، كما يمكن أن تحمل رسائل نوعية أو ثقافية موجهة للجمهور، مما يجعلها وسيلة للتواصل بين الفنان والمجتمع. إضافة إلى ذلك تسهم الجداريات في تعزيز الشعور بالانتماء إلى المكان وتوثيق الذاكرة الجماعية للأحداث التي يعيشها المجتمع[1].

[1]- جميل حمداوي، المرجع نفسه، ص 57.

الفصل الثاني:

الطبيعة في الفن الجداري المعاصر

المبحث الأول: تمثلات الطبيعة في الجداريات المعاصرة

1. العناصر الطبيعية (النبات، الحيوان، الماء، الجبال ...):

يستحضر الفنان الجداري المعاصر المفردات الطبيعية بكثافة لكسر جمود المدن، تحضر العناصر النباتية (الأشجار، الأزهار، الأوراق) كدلالة على الحياة والنمو، وتوظف العناصر الحيوانية (الطيور، الخيول، الحيوانات المهددة بالانقراض) للتعبير عن التنوع البيولوجي كما تشكل عناصر الماء (الشلالات، الأنهار) والجبال خلفيات درامية أو مواضيع رئيسية تضفي حركية وعمقا بصريا على السطح الجداري المستوي.

تتنوّع العناصر الطبيعية المستخدمة في الجداريات المعاصرة، حيث يستلهم الفنانون من الطبيعة المحيطة بهم عناصر متعددة فالنباتات مثلا، تظهر بأشكالها المختلفة، من الأشجار العملاقة إلى الزهور الصغيرة والنباتات البرّية. وقد يعالج الفنان هذه العناصر بشكل واقعي أو تجريدي أو رمزي، حسب رؤيته الفنية والرسالة التي يريد إيصالها[1].

كما يظهر الحيوانات كعناصر طبيعية مهمة في الجداريات المعاصرة، فقد يصوّر الفنان حيوانات بعينها لما تحمله من دلالات رمزية أو ثقافية، أو قد يخلق مخلوقات خيالية تجمع بين عناصر من عوالم مختلفة، وقد تخدم هذه الحيوانات كوسيلة للتعبير عن قضايا بيئية كالانقراض أو التلوّث[2].

---

[1]- زهرة أحمد صالح الغامدي، جداريات فنية معاصرة قائمة على سياقات تعبيرية غير تقليدية للخامة، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد 78، 2026، ص 367.

[2]- بركات سعيد محمد، الفن الجداري، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص 33.

أمّا العناصر المائية والجبلية، فتظهر بكثرة في الجداريات خاصة في المناطق التي تتميز بهذه العناصر، فالماء قد يصوّر كعنصر حيوي ومنبع للحياة، أو كعنصر يعكس الضوء والألوان المحيطة، والجبال قد ترمز إلى الثبات والقوة والتّحدي، أو إلى الجمال الطّبيعي الخلّاب[1].

2. الرموز الطبيعية ودلالاتها البصرية:

لا تنقل الطبيعة في الجداريات المعاصرة بشكل حرفي دائما، بل تشحن بدلالات رمزية عميقة، فالشمس ترمز للقوة والحياة والانبعاث، وسنابل القمح والنخيل تشير إلى الخصوبة والرزق والارتباط بالأرض، شجرة السرو على سبيل المثال استوحت منها المآذن الإسلامية لصلابتها وشموخها، هذه الرموز تخلق لغة بصرية مشتركة بين الفنان والمتلقي، وتستفز الذاكرة الثقافية للمجتمع.

يتجاوز استخدام العناصر الطبيعية في الجداريات المعاصرة الجانب التزييني المحض والمباشر إلى البعد الرمزي العميق والمتعدد الطبقات، حيث تتحوّل هذه العناصر إلى شيفرات بصرية وإشارات ثقافية تحمل دلالات متعددة تختلف باختلاف السياق الثقافي والديني والاجتماعي والتاريخي للعمل الفني والمجتمع الذي يحتضنه، وفيما يلي أبرز هذه الرموز ودلالاتها المتداولة عالميا ومحليا.

* **الشجرة** (The tree): ترمز إلى الحياة والنمو والاستمرارية والحكمة والتجذر في الأرض والارتباط بالأجداد والأصل غالبا ما تصوّر "شجرة العائلة" (شجرة نسب)، أو شجرة الحياة (وهو رمز قديم جدا موجود في العديد من الثقافات والحضارات كالبابلية والمصرية والهندوسية والبوذية والإسلامية والمسيحية) للتعبير عن الامتداد الزمني للأجيال، والتواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، والتوازن بين السماء والأرض (الجذور في الأرض، والفروع في السماء).
* **الزهرة (خاصة زهرة اللوتس)**: ترمز إلى الجمال العابر، والنقاء، والبعث، والولادة الجديدة والعفة، وفي الثقافة الشرقية (الهندية والبوذية) ترمز زهرة اللّوتس إلى التنوير الروحي والقدرة

[1]- منى حيدر علي، تقنيات التصوير الجداري، مجلة الأكاديمية، العدد 3، 2019، ص 54.

على الإزهار والنقاء رغم تواجد جذورها في المياه العكرة والموحلة، ممّا يرمز إلى قدرة الروح على الارتفاع فوق الشهوات والماديات.

* **الحمامة (The dove)**: رمز عالمي وواسع الانتشار للسلام وروح القدس والبراءة والوئام، انتشر استخدامها بقوّة في الفنون التشكيلية والجداريات بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية (خاصة بعد رمز بابلو بيكاسو لحمامة السلام عام 1949)، ومازالت حاضرة بقوة في الجداريات المناهضة للحروب والعنف والإرهاب، وفي الجداريات الداعية إلى التسامح والمصالحة والتعايش السلمي بين الأديان والثقافات.
* **العين (عين الطبيعة أو عيبن كل شيء)**: رمز شائع وغامض في الجداريات المعاصرة خاصة في فنون الشارع المستوحاة من ثقافات السكان الأصليين (كالأستراليين الأصليين، والأمريكيين الأصليين)، حيث تعبر عن وعي الطبيعة ومراقبتها الدائمة والمستمرة لأفعال البشر وتصرّفاتهم، أو عن الوعي البيئي اليقظ الذي لا يغفل، أو عن الحكمة القديمة والبصيرة الروحية.
* **الموج واللانهاية المتكررة (Wave & Infinity)**: تستخدم الخطوط المتعرجة المتكررة والمتموجة والأشكال الحلزونية واللّولبية (كالحلزون الذهبي) بكثرة في الجداريات التجريدية والتعبيرية للدّلالة على الطبيعة الدورية للحياة والموت (ولادة، حياة، موت، ولادة جديدة)، وعلى التغيّر المستمر والحركة الأبدية، أو على الطاقة الكونية المتدفقة (كطاقة "البرانا" أو "الشي" أو "التاو").

تعتمد فعالية وقوة الرمز الطبيعي في الجدارية على قدرة الفنان الموهوب على المزج والانسجام بين الشكل البصري الجذاب والمتقن والمضمون الرمزي العميق والملائم، بطريقة تلامس وجدان المشاهد العادي وتدفعه للتأمل والتساؤل والتفاعل العاطفي والفكري وغالبا ما تتحوّل الجدارية

الناجحة إلى مساحة حوار ثقافي بصري واجتماعي، حيث يقرأ فيها كل مشاهد المعنى الذي يتوافق مع تجربته الحياتية وخلفيته الثقافية ودينه وعمره مما يخلق تعدّدا في التأويل والإثراء[1].

3. البعد البيئي والإنساني للطبيعة في الجدارية:

مع تصاعد الأزمنة البيئية العالمية غير المسبوقة في تاريخ (الاحتباس الحراري، ذوبان الجليد القطبي وارتفاع منسوب البحار، تلوث الهواء والماء والتربة، إزالة الغابات الاستوائية، انقراض الأنواع بمعدل ألف مرة أسرع من المعدل الطبيعي، النفايات البلاستيكية في المحيطات، التصحر، ندرة المياه العذبة) تحوّل الفن الجداري في العقود الأخيرة إلى منبر نقدي فاعل مؤثر وحامل قوي لقضايا البيئة والتنمية المستدامة والعدالة المناخية. ويتجسّد البعد البيئي والإنساني للجداريات المعاصرة في عدّة مستويات وممارسات.

جداريات التوعية البيئية (Awarenessmurals) تهدف بشكل مباشر وصريح إلى لفت انتباه الجمهور العام وصناع القرار إلى المشكلات البيئية الخطيرة والملحة (كالتلوث البلاستيكي، نضوب الموارد الطبيعية، ارتفاع منسوب البحار الذي يهدد الجزر والمدن الساحلية، الحرائق الغابية، تسرب النفط). تستخدم هذه الجداريات صورا صادمة ومؤثرة أحيانا (كحيوان ميت عالق في شبكة صيد، أو طفل يتنفس من قناع أكسجين في مدينة ملوثة، أو شجرة وحيدة في صحراء قاحلة)، أو رموزا مفارقة ومتناقضة (كحوت عالق في شبكة صيد بلاستيكية، أو جبل من القوارير البلاستيكية الملونة بشكل جميل) لحث المشاهد على التفكير والتغيير السلوكي والمطالبة بسياسات بيئية أكثر صرامة.

جداريات الدعوة للاستدامة والاقتصاد الأخضر (Sustainabilitymurals) تحتفي هذه الجداريات بالحلول البيئية الإيجابية والمستدامة، كالطاقة المتجددة (الألواح الشمسية، توربينات الرياح) والزراعة الحضرية (أسطح المنازل الخضراء، الحدائق العمومية)، وإعادة التدوير والتدوير (/Recycling

[1]– دنوني نادية، بوزار حبيبة، رمزية التصوير الجداري في الفن التشكيلي الجزائري، مجلة النّص، المجلد 8، العدد 3، 2021، ص 120.

upcycling) والتنقل المستدام (الدراجات الهوائية، وسائل النقل العام الكهربائية)، والحفاظ على التنوع البيولوجي (المحميات الطبيعية، إعادة التشجير)، غالبا ما تنفذ هذه الجداريات في المباني العامة (كالمدارس، والجامعات، البلديات، المستشفيات والمتاحف) والمراكز المجتمعية، ومحطات الميترو والحافلات، لتكون نموذجا عمليا مصغرا وملهما عن الاستدامة وأسلوب الحياة الصديق للبيئة.

الجداريات الترميمية والعلاجية (Therapeutic/ Restorativemurals) في بعض المدن والمناطق المنكوبة بالحروب أو الكوارث الطبيعية (كزلزال هايتي 2010، وإعصار كانرينا في نيو أوليز 2025، وزلزال تسونامي اليابان 2011، وانفجار مرفأ بيروت 2020، وزلزال الحوز في المغرب 2023) يتم رسم جداريات كبيرة ومشرقة على واجهات المباني المتضررة والمدمرة، تحمل صورا للأشجار المزهرة والحدائق الغناء والطيور المحلقة والأطفال الضاحكين، بهدف إعادة الأمل والتفاؤل ومداواة الجروح النفسية الجماعية وتذكير الناس بقدرة الطبيعة والحياة على التجدد رغم الدمار.

الجداريات التفاعلية مع البيئة الحية (Interactive Eco- murals) هناك اتجاه متزايد وجديد ومبتكر لدمج الجداريات الفنية مع عناصر حية وحقيقية من الطبيعة (كزراعة النباتات المتسلقة، واللبلاب عند قاعدة الجدارية، أو استخدام الطلاءات الضوئية (الفوتوكاتالينية) التي تمتص التلوّث (كطلاءات ثاني أكسيد التيتانيوم)، أو دمج أحواض الزراعة المائية (Hydroponics) في التصميم الجداري نفسه، أو حتى بناء أعشاش للطيور والفراشات والنحل[1] داخل الجدارية، ليتحوّل الجدار من مجرّد سطح مصور سلبي إلى نظام بيئي مصغّر حي ومتفاعل وإيجابي، يساهم في تنقية الهواء وتوفير الغذاء والمأوى للكائنات الحية في قلب المدينة.

ومن الأمثلة الرائدة على ذلك فنان الجداريات الفرنسي "سايبSaype" الذي يبتكر لوحات جدارية ضخمة جدا، على العشب والأرض باستخدام طلاء صديق للبيئة ومتحلل حيويا مصنوع

[1]- غرانت كيستر، الفن والبيئة، الممارسات الفنية المعاصرة والاستدامة، ترجمة أحمد خالد، دار الفكر المعاصر، القاهرة، 2018، ص112-118.

بشكل أساسي من الطباشير والفحم والماء، ويعتبر رائدا لحركة فنية جديدة ترتبط بين فن الشارع وفن الأرض (Land Art) والنشاط البيئي[1].

أمّا البعد الإنساني العميق للطبيعة في الجداريات فيتعلّق بتأكيد فكرة أنّ الإنسان (Homo sapiens) ليس سيّد الطبيعة ومتسلطا عليها، بل هو جزء لا يتجزأ منها، وأنّ صحته النفسية والجسدية تعتمد على صحّة النظم البيئية، ففي الحضارات القديمة، كان الإنسان يعبد قوى الطبيعة ويخافها، وفي الحداثة حاول الإنسان السيطرة عليها واستغلالها بلا رحمة، أمّا في الجداريات المعاصرة النقدية فتصوّر الطبيعة غالبا بوصفها كائنا حيّا له حقوق متساوية مع الإنسان (أو حتى أسبق) والعلاقة بين الإنسان والطبيعة هي علاقة تكامل وتوازن وانسجام واحترام متبادل وليس تسلطا واستغلالا، وتتضمّن بعض الجداريات أبعادا اجتماعية وسياسية حادة، كتأكيد حقوق الشعوب الأصلية (كالهنود الحمر، الأمازيغ، الأبورجينال) في أراضيها ومواردها الطبيعية التي سلبت منها قسرا، وتوثيق النضالات البيئية المحلية ضد الشركات متعدّدة الجنسيات التي تلوّث الأنهار وتقطع الغابات وتستنزف المعادن[2].

ففي ظل الأزمات الإيكولوجية المعاصرة، اتخذت الجداريات بعدا نقديا وتوعويا، أصبحت الجدارية وسيلة للاحتجاج ضد التلوث، من خلال تصوير طبيعة مثالية أو طبيعة مدمّرة، يسعى الفنان إلى إيقاظ الضمير البيئي للإنسان الحضري مذكّرا إيّاه بانتمائه الأصيل للأرض ومحذّرا من الانفصال عن القوانين الطبيعية.

[1]– محمّد بودور، مفهوم البيئة وأهم أنواعها في التشريع الجزائري، مجلة السياسة العالمية، مجلد 6، العدد 2، 2022، ص 545.

[2]– عز الدين إسماعيل، الفن والإنسان، مكتبة غريب، القاهرة، 1977، ص 130.

المبحث الثاني: الأساليب والتقنيات في معالجة الطبيعة جداريا

1. الأسلوب الواقعي:

يعتمد هذا الأسلوب على المحاكاة الدقيقة للمناظر الطبيعية، حيث يستخدم الفنان تقنيات الظل والنور، والمنظور اللوني والخطي لخلق وهم بصري (Trompe- l'œil) يوسّع الفضاء المعماري، تشعر الجداريات الواقعية المارّة وكأنّهم يطلون من نافذة على غابة أو شلال حقيقي، مما يوفر راحة نفسية بصرية.

يهدف الأسلوب الواقعي في الجداريات إلى تمثيل الطبيعة تمثيلا دقيقا وصادقا ومطابقا للواقع قدر الإمكان، يعتمد على الملاحظة البصرية الدقيقة والنقل الأمين للتفاصيل والتشريح والألوان والإضاءة، ورغم أنّ الجداريات الواقعية الضخمة تتطلب مهارة تقنية عالية جدا، وإحكاما في الرّسم والتلوين وإتقانا لقوانين المنظور والضوء والظل، فإنّها غالبا ما تحقق تأثيرا قويا ومباشرا على المشاهد العادي غير المتخصص، الذي يجد في هذه الصور المألوفة والواقعية ما يلامس ذاكرته البصرية وتجاربه اليومية وعواطفه، ويشعر وكأنه ينظر من نافذة حقيقية إلى منظر طبيعي[1].

تتنوع معالجة الطبيعة في الأسلوب الواقعي لتشمل تقنيات متعددة:

المنظور الطبيعي (Nature Perspective)، استخدام قواعد المنظور الخطي (linear perspective)، تقارب الخطوط المتوازية نحو نقطة تلاشي واحدة أو أكثر، والمنظور الجوي (Aerial perspective) تلاشي الألوان وتدرجها نحو الأزرق البارد في الأجزاء البعيدة، لخلق إحساس قوي بالعمق المكاني والامتداد والمسافة، كما لو أنّ الجدار المسطح أصبح نافذة حقيقية تطل على منظر طبيعي ممتد وجميل.

---

[1]- زينب عمار صبيح، الواقعية في الرسم العالمي المعاصر، بحث مقدم إلى جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، قسم الفنون التشكيلية، 2020، ص 10- ص 11- ص 12.

التلوين المحلي والدقيق (Local- accuratecoloring) استخدام الألوان كما تظهر في الواقع في وضح النهار أو عند الغروب أو الفجر (أخضر دقيق لأوراق الأشجار، أزرق مائي للسماء والبحر، بني ترابي للتربة والصخور، أبيض ناصح للثلوج والغيوم) مع مراعاة دقيقة ومتقنة لتأثيرات الإضاءة والظّل والانعكاسات اللونية والجو العام (كالإضاءة الذهبية الدافئة وقت الغروب، أو الإضاءة الباردة الفضية وقت الفجر).

الدقة التشريحية والنباتية (Anatomical- BotanicalAccuracy) إظهار تفاصيل دقيقة ومجهرية أحيانا كعروق الأوراق، ونسيج اللحاء والشقوق، وريش الطيور وتفاصيل العيون والمنقار، وحراشف الأسماك وحبيبات الرمل والصخور، وأهداب الزهور، وهذا يتطلب دراسة مكثفة ومسبقة للكائنات الطبيعية المراد تصويرها، ومرجعية بصرية قوية (صورة فوتوغرافية، رسوم علمية، مشاهدة ميدانية).

من أبرز الأمثلة العالمية المعاصرة على الأسلوب الواقعي المذهل: جداريات الفنان الإيطالي "بليكس بانشوBlu" السريالية الواقعية التي تصوّر حيوانات ونباتات وأشخاصا بحجم ضخم جدّا تخترق جدران المباني وتتفاعل مع العمارة كما لو كانت حية ومتحركة. كما أنّ العديد من الجداريات البيئية التوعوية (خاصة تلك التي تركز على الحيوانات المهددة بالانقراض) تعتمد الأسلوب الواقعي فائق الدقة لتقديم صور حية ومؤثرة ومفصلة للكائنات، مما يزيد من تأثيرها العاطفي والنفسي على المشاهد ويحفز التعاطف والرغبة في الحماية[1].

[1]– وديعة بنت عبد الله بن أحمد بوكر، المفاهيم الفنية والفلسفية لفن الواقعية العليا كمصدر لإثراء التصوير السعودي المعاصر، رسالة مقدمة إلى قسم التربية الفنية ضمن متطلبات الحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في التربية الفنية رسم وتصوير، ص 7 وص 8.

2. الأسلوب التجريدي:

الأسلوب التجريدي: مستلهما من التراث الإسلامي والفنون الحديثة، يقوم الأسلوب التجريدي على اختزال الأشكال الطبيعية إنّ خطوط ومساحات هندسية أو بقع لونية، هنا لا تهم التفاصيل بل الإيقاع الحركي والتناغم اللّوني الذي يعكس جوهر الطبيعة (Phasis) وطاقتها الداخلية بدلا من مظهرها الخارجي[1].

يتخلّى الأسلوب التجريدي في معالجة الطبيعة بشكل كامل أو جزئي عن التشابه الظاهري والصوري من المظهر الطبيعي للأشياء، ليركز بدلا من ذلك على العناصر البصرية الأساسية (الخطوط، الألوان، المساحات، البقع، الأشكال الهندسية، الملمس) التي يمكنها أن تنقل جوهر الطبيعة وروحها وطاقتها وإيقاعها دون الحاجة إلى نسخها نسخا حرفيا أو تقليدها. الأسلوب التجريدي يمنح الفئات حرية تعبيرية هائلة وتتيح للمشاهد مساحة واسعة للتأويل والتخيل.

تتنوع معالجة الطبيعة في الأسلوب التجريدي لتشمل:

التجريد الهندسي (Géometic abstraction)، تحويل العناصر الطبيعية (كالأشجار، الجبال، الأمواج والزهور والغيوم) إلى أشكال منتظمة (مربعات، مستطيلات، مثلثات، دوائر، معينات، أشكال سداسية وثمانية)، كما في جداريات فنانين متأثرين بفن النيوبلاستيسيزم (Neoplasticism) الهولندي (بيت موندريان) وبالباوهازس (Bauhaus) الألماني، مثال على ذلك تمثيل شجرة كسلسلة متدرجة من الدوائر المتداخلة ولمربعات المرتبة عموديا، أو تمثيل موجة بحر كسلسلة من المثلثات الزرقاء المتجاورة والمتناقضة في الحجم.

التجريد الايقاعي التعبيري (Expression rhythmic abstraction) استخدام الخطوط العفوية الحرّة والسريعة والمنحنية والمتشابكة، والألوان المتدفقة والمتداخلة والبقع اللّونية غير المنتظمة

[1]– دكتور محمود البسيوني، التجريد في النص، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950، ص 12.

للتعبير عن الحركة والحياة والطاقة والتدفق في الطبيعة (كحركة الرياح في الحشائش وحبوب اللّقاح، أو جريان الماء في النهر والشلال أو نمو النباتات والتواء الفروع، أو اضطراب عاصفة رعدية)[1].

التجريد الرمزي التبسيطي (Simplifiedsymbolic abstraction) اختزال الظواهر الطبيعية والأشكال إلى رموز بصرية بسيطة جدا أو بديهية يسهل التعرّف عليها وفهمها عالميا (كالشمس بدائرة صفراء أو برتقالية مع خطوط شعاعية والقمر بهلال أبيض أو أصفر، والماء بخطوط أفقية متموجة زرقاء، والنار بمثلثات حمراء متصاعدة، والجبل بمثلث كبير بني) وهذا الأسلوب القريب من الرسم الطفولي أو الرموز الهيروغليفية أو إشارات المرور، ينتشر بكثرة في الجداريات التي تستهدف الأطفال والمراكز التربوية، أو في الجداريات التي تبني فلسفة البساطة المتعمدة والتقليلية (Minimalism) كرد فعل ضد التعقيد البصري والصخب الإعلامي.

يلجأ العديد من فناني الجداريات المعاصرة إلى التجريد كأسلوب مفضل للتعبير عن الجوانب اللاّمرئية وغير المحسوسة في الطبيعة (كالطاقة (Energy) والنظام الخفي (Hidden order) والنمو (Growth) والذبذبات (Vibration) والمشاعر (Emotion)، والروحانيات (Spiritualities)، وكوسيلة للهروب من سطوة التصوير الفوتوغرافي والواقعي المفرط الذي قد يقتل الخيال ويحد من التأويل. كما يستخدم التجريد بنجاح للتخفيف من حدّة الصدمة البصرية والضجيج البصري في المناطق الحضرية المزدحمة بالمباني واللافتات والإعلانات الصارخة، بحيث يخلق مساحات من الهدوء والتأمل والانسجام اللّوني[2].

---

(1) -Elite Faure, History of Art, the spirit of the forms, Garden city publishing, 1937, p 344.

(2)– دينا يسرى سليمان درغام، دور التجريدية التعبيرية في ابتكار معالجة جدارية لميدان الخريطة بمحافظة الدهلقية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المجلد 9، العدد 24، ص 354.

3. الأسلوب التعبيري والرمزي (Expressionism- symbolism):

يعتبر الأسلوب التعبيري (Expressionism) من أكثر الأساليب قدرة وعمقا على نقل المشاعر الإنسانية العميقة والمضطربة أحيانا اتجاه الطبيعة (الحب، الخشوع، الحنين، الدهشة، القلق، الخوف، الأمل، اليأس، الغضب، السكينة). وهو يتجاوز الدقة الواقعية والتجريد البارد والهندسي ليعطي الأولوية المطلقة للانطباع الذاتي والعاطفي والوجداني الذي تتركه الطبيعة في نفس الفنان، وكيف يمكن ترجمة هذا الانطباع الداخلي القوي إلى ضربات فرشاة عنيفة وسريعة، أو ألوان غير واقعية وصارخة ومتباينة (كالأشجار الحمراء النارية، والسماء الخضراء الزاهية، والجبال الزرقاء الكوبالت والأرض الأرجوازية)، أو تشويه متعمد للأشكال والأحجام (مبالغة، تبسيط، تكسير، تجزئة) لزيادة التأثير العاطفي[1].

أمّا الأسلوب الرمزي (Symbolism) فهو يهتم بشكل أساسي بوضع دلالات ثقافية ودينية وأسطورية وفلسفية وسياسية على العناصر الطبيعية، فيتحول كل عنصر طبيعي إلى "شيفرة" أو "إشارة" أو "استعارة بصرية" تحتاج إلى تأويل وفك شيفرة بناءا على السياق والمعرفة المسبقة وهذا الأسلوب الرمزي شائع جدا في الجداريات ذات الأبعاد الأسطورية (كالأساطير الإغريقية والمصرية والاسكندنافية) أو الدينية (كالأيقونات المسيحية والبوذية والإسلامية) أو السياسية (كالعلم والرموز الوطنية) أو الثقافية (كشجرة العائلة وتراث الأجداد) على سبيل المثال قد ترمز شجرة الزيتون المعمرة في الثقافة المتوسطية إلى الصمود والأصالة والسلام والوفرة والارتباط بالأرض والأجداد، وقد ترمز الحديقة الغناء إلى الجنة والفردوس والنعيم الأبدي، وقد ترمز الواحة في الصحراء إلى الأمل والخلاص

[1]– محمد حلمي حامد، لمياء وجدي عبد الغفار، محمد عبد الحليم بدر علي خان، المجلة العلمية للدراسات والبحوث التربوية والنوعية، المجلد 3، العدد 6، 2018، ص 218.

والحياة بعد الموت والرحمة الإلهية، وقد ترمز الجذور الضاربة بعمق في الأرض إلى الهوية والأصالة والانتماء والثبات رغم العواصف[1].

4. التقنيات والخامات المستعملة في الجداريات:

تتنوع الخامات في الجداريات المعاصرة لتشمل: ألوان الأكريليك والطلاء البخاخ (Spray paint) الشائعة في فن الشارع لسرعة جفافها ومقاومتها للعوامل الجوية، كما تستخدم تقنيات الفسيفساء (الزليج) والزجاج المعشق والنحت البارز باستخدام الطين أو الاسمنت، وصولا إلى دمج خامات متعددة (Mixed Media) من البيئة نفسها (أحجار، أخشاب، معادن معاد تدويرها) لتعزيز البعد البيئي للعمل.

تعددت وتنوعت التقنيات والخامات المستخدمة في الجداريات المعاصرة بشكل كبير تبعا لتطوّر التكنولوجيا الكيميائية والرقمية، واتساع مفهوم الفن الجداري ليشمل الوسائط المتعددة والتفاعلية، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات رئيسية:

أولا: التقنيات التقليدية (Traditionalthechniques):

- **الفريسكو (Fresco)**: من أقدم وأعرف التقنيات الجدارية، وتعتمد على تطبيق الألوان المائية (الصبغات الطبيعية أو الصناعية المطحونة ناعما والممزوجة بالماء فقط) على طبقة من الجص الرطب الطازج (الملاط الجيري) فتتفاعل الألوان مع الجير وتتماسك كيميائيا مع الجدار، وتصبح جزءا لا يتجزأ من سطحه، تعد تقنية دائمة للغاية ومقاومة لعوامل التعرية إذا نفذت بشكل صحيح، لكنها تتطلب سرعة كبيرة في التنفيذ (لأنّ الجص يجف بسرعة) ودقة متناهية في التخطيط (لا يمكن التصحيح بسهولة) من روائعها الخالدة جداريات "مايكل

[1]- بلقيس سيد سلطان، الرمزية في التصوير المصري، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، 1988، ص 8.

أنجلو" في كنيسة سيستين (1508- 1512م) وجداريات "جوتو" في كنيسة سكروفيني في بادوفا (1305م)[1].

- **التمبرا (Tempera)**: تعتمد على مزج الصبغات الملونة بمواد لاصقة قابلة للذوبان في الماء (كالغراء الحيواني وصفار البيض والصمغ العربي والعسل والحليب). أقل ديمومة ومتانة من الفريسكو، لكنها أسهل في التصحيح وإعادة العمل والترميم، وتجف بسرعة متوسطة، كانت شائعة في العصور الوسطى وعصر النهضة المبكر قبل انتشار الألوان الزيتية[2].
- **الفسيفساء (Mosaic)**: تعتمد على تجميع وتثبيت قطع صغيرة جدا (تسمى "تيسيرا") من الحجارة الملونة أو الرخام، أو الزجاج أو الخزف أو الصدف، أو حتى المعادن الثمينة، لتشكيل صورة أو نقش أو زخرفة. وتتميز بقوة تحمّلها الاستثنائية لعوامل التعرية والرطوبة والحرارة، وتعدد ألوانها اللاّمعة وخلودها، وقدرتها على خلق تأثيرات ضوئية متلألئة وصغيرة باختلاف زاوية سقوط الضوء، شاع استخدامها في الفن البيزنطي (ككنيسة القديس فيتالي في رافينيا)، والفن الإسلامي (كمسجد الأموي في دمشق، وقبة الصخرة في القدس، وقصر الحمراء في غرناطة، والمدارس المرينية في فاس وتلمسان) والفن الروماني (كمنازل يومبي)[3].

ثانيا: التقنيات الحديثة (Modern thechniques):

- **الذهاناتالأكريليكية (Acrylicpaints)**: تعد الأكريليك اليوم الخامة الأكثر شيوعا وانتشارا في الجداريات المعاصرة (الداخلية والخارجية) وذلك لسرعتها الفائقة في الجفاف (دقائق) ومتانتها العالية، ومرونتها، ومقاومتها الممتازة للعوامل الجوية (الشمس، المطر، الرطوبة، التغيرات الحرارية) وتوفرها بألوان زاهية جدا ومتشبعة ومقاومة للبهتان (نباتية عالية

---

[1]- الدكتور بركات سعيد محمد، الفن الجداري، الخامة، الغرض، الموضوعات، عالم الكتب، الطبعة 1، القاهرة، 2008، ص 32.

[2]- الدكتور بركات سعيد محمد، الفن الجداري، ص 44.

[3]- المرجع نفسه، ص 43.

للضوء). تنفذ إمّا بفرشاة (فرش مختلفة للأحجام والأشكال) أو بالبخاخ (Spray cans) أو بالرول (Rollers) للمساحات الكبيرة جدا. يمكن تخفيفها بالماء أو بالوسائط الأكريليكية الخاصة لزيادة السيولة أو اللّزوجة أو اللّمعان[1].

- **دهانات السيليكون واللاّتكس (Sillicone- latex paints)**: تستخدم بشكل خاص للجداريات الخارجية الضخمة والمعرضة لعوامل جوية قاسية (كالرطوبة العالية، والأمطار الحمضية، والتلوث الصناعي، والأشعة فوق البنفسجية الشديدة). وتتميز بمرونتها العالية جدا التي تسمح لها بمواكبة تمدد وانكماش الجدران (نتيجة التغيرات الحرارية دون تشقق) ومقاومتها الفائقة للرطوبة والعفن والفطريات وقابليتها للغسل بالماء والمنظفات[2].
- **طلاءات الجرافيتي (Spray paints/ Aerosolpaints)**: علب البخاخ الصغيرة والمتوسطة الحجم أصبحت الأداة المفضلة والهوية البصرية لرسامي الجداريات في شوارع المدن (فناني الجرافيتي والستريت آرت) لقدرتها على التظليل والدمج السريع والدقيق، وتغطية المساحات الكبيرة بسرعة فائقة، وإنشاء تأثيرات خطية معقدة (باستخدام فوهات مختلفة السماكة) والحمل الخفيف.

وغالبا ما يستخدم الأكريليك (بالفرشاة) والبخاخ معا في العمل الجداري الواحد، الأكريليك للمساحات اللّونية الكبيرة والخلفيات، والبخاخ للتفاصيل والتظليل والخطوط والكتابات.

- **تقنيات المحاكاة الرقمية والطباعة كبيرة الحجم (Large format digital printing)**: مع التقدم الهائل في تقنيات الطباعة الرقمية، أصبح من الممكن والمربح طباعة تصاميم رقمية عالية الدقة والوضوح على ورق حائط مقوى (rallpaper) أو فينيل لاصق

---

[1]- عباس رأفت عمر إبراهيم، الخلطات والأساليب المستخدمة في فن التصوير الجداري، رسالة ماجستير في الفنون الجميلة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم، 2016، ص 76.

[2]- المرجع نفسه، ص 80.

(Selft-adhesivevinyl) مقاوم للعوامل الجوية والتمزق تم تركيبها ولصقها على الجدران، هذه التقنية توفر الوقت والتكلفة بشكل كبير، وتسمح بدقة تصويرية فائقة وتدرجات لونية لا نهائية، لكنها تفتقر تماما إلى البصمة الإنسانية الفريدة واللّمسة اليدوية والعفوية والتعبيرية للرسم اليدوي، وقد تنتقد لكونها "صناعية" و"باردة"[1].

ثالثا: الخامات البديلة والمستحدثة (Alternative- innovative Materials):

- **الخامات البيئية الطبيعية (Natural Eco-Materials)**: بالعودة إلى روح الفنون البدائية وفن الأرض، بدأ بعض فناني الجداريات المعاصرة (خاصة ذوي التوجه البيئي النقدي) باستخدام الخامات الطبيعية العضوية في أعمالهم، مثل التراب الملوّن، والفحم النباتي والطباشير الملوّن الطبيعي، وعجائن النباتات (كالسليلوز والنشا) والطين، والجص وذلك للتقليل من الأثر البيئي السلبي (البصمة الكربونية) ولإضفاء أصالة تعبيرية وجمالية عضوية خاصة.
- **المواد المعاد تدويرها (Recycledmaterials)**: استخدام المخلفات والنفايات الصلبة (كقطع البلاستيك المعاد تشكيلها وصهرها، والزجاجات البلاستيكية المقطعة، وعلب الصفيح والألمنيوم، والعجلات المطاطية القديمة، والبلاط المكسور والسيراميك التالف والمرايا المكسورة) في تركيب الجداريات الفسيفسائية أو النحت البارز، وهي ممارسة شائعة ومتنامية في جداريات التوعية البيئية التي تحتج على ثقافة الاستهلاك والنفايات البلاستيكية[2].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 88.

[2]- سحر شمس الدين محمد محمود، فن التصوير الجداري في مصر الفرعونية، وأثره على تصميم الجداريات الفنية الزجاجية المعاصرة، مجلة العمارة والفنون، العدد 8، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، مصر، 2017، ص 280.

تقنيات الوسائط المتعددة والتفاعلية (Multi media interative technologie):

إدخال عناصر غير تقليدية وتكنولوجية متطوّرة في الجدارية، كالإضاءة الاصطناعية المتغيرة (LedStrips- RGB lighting) والمرايا (Merrors) لخلق تأثيرات انعكاسية وهمية والكاميرات (Cameras) وأجهزة الاستشعار (Sensors) الحركية والصوتية لتحويل الجدارية من لوحة ثابتة سلبية إلى تجربة تفاعلية ديناميكية تتغير وتتطور مع حركة المشاهدين وأصواتهم وأجسادهم، أو مع الوقت من النهار (تتغير الألوان والصور عند الغروب). بعض الجداريات المتطورة تتضمن شيفرات QR ثنائية الأبعاد تقود المشاهدين (عبر مسحها بالهاتف الذكي) إلى محتوى رقمي إضافي (كفيديو قصير عن الحياة البرية، أو مقال صحفي عن التغير المناخي، أو أغنية عن الطبيعة، أو موقع إلكتروني لحملة بيئية).

بعد اختيار التقنية والخامة المناسبتين من القرارات المصيرية والحاسمة في العمل الجداري الناجح، حيث تؤثران بشكل مباشر وجوهري في المنظر البصري النهائي، ومتانة العمل وديمومته، وتفاعل الجمهور معه، وتأثره به، وتكلفته المالية وزمن تنفيذه.

المبحث الثالث: الجدارية والهوية الثقافية المحلية

1. الطبيعة كحامل للهوية:

تعد الطبيعة المحلية جزءا لا يتجزأ من الهوية الثقافية لأي مجتمع في الجداريات، يتم توظيف النباتات المستوطنة، التضاريس المميزة، والحيوانات المحلية كعلامات بصرية تؤكد الانتماء الجغرافي والتاريخي. إنّ رسم شجرة زيتون أو نخلة في جدارية مغاربية ليست مجرّد خيار تزييني، بل هو إعلان عن تجذّر الهوية في الأرض.

تعمل الجدارية كحامل مهم للهوية الثقافية المحلية في الجداريات، فكل منطقة تتميز بعناصر طبيعية خاصة بها، سواء كانت نباتات أو حيوانات أو تضاريس، تصبح جزءا من هويتها، وعندما يستلهم الفنانون من هذه العناصر في جدارياتهم فإنّهم يساهمون في تأكيد الهوية المحلية ونقلها للأجيال القادمة.

كما تعد الطبيعة المحلية (بكل عناصرها: الجبال، الأنهار، البحار، الغابات، الصحراء، النباتات المستوطنة، الحيوانات البرية و الداجنة) أحد أهم حاملي الهوية الثقافية وأقوى رموزها في الفن الجداري المعاصر، وذلك لأنّ المنظر الطبيعي ليس مجرّد خلفية جغرافية صماء وباردة، بل هو إطار معيشي ووجودي حي يشكل الذاكرة الجمعية للأفراد والجماعات، ويروي حكايات الأجداد وأساطيرهم، ويسهم في تشكيل الشخصية الثقافية والوجدان الجمعي للسكان عبر الأجيال. فعندما يرى سكان مدينة ما جدارية تظهر شجرتهم المقدسة (كشجرة الأرز في لبنان، أو شجرة الزيتون في فلسطين، وتونس والجزائر والمغرب). أو نهرهم الذي ارتبطت به طفولتهم ومراهقتهم (كنهر النيل في مصر والسودان أو دجلة والفرات في العراق) أو جبلهم الذي صمد أمام الزمن والغزوات (كجبل طارق، أو جبل عرفة، أو جبل المكبر، أو جبال الأطلس) فإنهم يشعرون بالفخر والانتماء والحنين والأصالة، ويتأكد ارتباطهم العاطفي والروحي بمكانهم وأرضهم وهويتهم.

ففي الجزائر مثلا، تظهر عناصر طبيعية مثل النخلة والأرز والصبار كرموز للهوية المحلية، كما أنّ المناظر الطبيعية كالصحراء والجبال والشواطئ تظهر في الأعمال الفنية تعبيرا عن التنوع الطبيعي للبلاد، وقد تظهر هذه العناصر بشكل مباشر أو رمزي في الجداريات.

لذلك يسعى العديد من فناني الجداريات، خاصة في البلدان النامية وما بعد الاستعمار، إلى توظيف العناصر الطبيعية المحلية التي ترمز إلى خصوصية منطقتهم وتميزها مستخدمينها بإبداع.

- النباتات والحيوانات المحلية المستوطنة رسم شجر الأرز في لبنان (رمز العلم والكنيسة المارونية)، أو شجر الأركان في المغرب (رمز الصمود والبركة) أو النخلة في الخليج العربي (رمز الكرم والعطاء والبيئة الصحراوية)، وزهرة السوسن في فلسطين (رمز الجمال والصمود الفلسطيني) أو زهرة اللّوتس في مصر (رمز النهضة والبعث والثقافة الفرعونية) وكذلك الحيوانات المحلية (كالمها العربي، والفهد الصحراوي المهددين بالانقراض والإبل سفينة الصحراء والماعز الجبلي، والضأن البربري).
- التضاريس والمناظر الطبيعية المميزة: رسم جبال الأطلس الكبير والمتوسط والصغير في المغرب والجزائر وتونس، أو جبال طاووس في تركيا أو جبال الهمالايا في نيبال والهند وبوتان، أو هضبة الأناضول في تركيا أو الأخاديد العظيمة (جراند كانيون) في أمريكا.
- المسطحات المائية المحلية المقدسة أو الحيوية: رسم نهر النيل العظيم في مصر والسودان (رمز الحضارة المصرية القديمة والحديثة) أو دجلة والفرات في العراق (مهد الحضارة السومرية والبابلية) أو البحر المتوسط في شمال إفريقيا وبلاد الشام وجنوب أوروبا (رمز التبادل الثقافي والتاريخ المشترك) أو الواحات (كنوز الحياة في الصحراء الكبرى) أو الينابيع المقدسة (كعين زمزم في مكة، وعين الحار في الجزائر وعين مديونة في تونس).[1]

[1]- لخضاري ووردة، الهوية الثقافية في الفن التشكيلي، مذكرة الماستر، كلية العربي والفنون، جامعة مستغانم، الجزائر، 2021، ص34-36.

- الظواهر المناخية الخاصة والموسمية: رسم الضباب الكثيف في المناطق الساحلية (كضباب في سان فرانسيسكو أو في سواحل عمان) أو الثلوج البيضاء على قمم الجبال الحالية (كثلوج الأطلس، والهملايا والأنديز) أو العواصف الرملية والغبارية في الصحراء الكبرى والربع الخالي، أو الأمطار الموسمية الغزيرة في جنوب آسيا.

لا تقتصر الطبيعة بوصفها حاملا للهوية على الجانب البصري المباشر والتقليدي بل تمتد لتشمل الروابط العاطفية والرمزية العميقة (كالارتباط العضوي بالأرض والوطن الأم، بالموسيقى والشعر والأمثال والحكم المستلهمة من الطبيعة، وبالمعتقدات الشعبية والأساطير والخرافات المرتبطة بالكهوف والينابيع والأشجار المقدسة والأحجار الكريمة والجبال المقدسة) فالجدارية الناجحة في هذا السياق لا تظهر الطبيعة فقط، بل تحيي الروح الثقافية الكامنة فيها[1].

2. العلاقة بين الجدارية والمحيط العمراني:

تكتسب الجدارية معناها الكامل من خلال علاقتها بالمحيط العمراني المحيط بها، فالجدارية لا تعزل عن سياقها المعماري والحضري، بل تشكل معه وحدة متكاملة وقد يأخذ الفنان في اعتباره عند تصميم الجدارية خصائص المبنى الذي ستنفذ عليه وطابع الحي، والهوية العامة للمدينة.

تتميز الجدارية بشكل حاسم عن غيرها من أنواع الفن التشكيلي (كاللّوحة الحاملة، والنحت والطباعة) بأنها لا توجد في فراغ متحفي أو حالاتي محايد، بل هي جزء لا يتجزأ من النسيج العمراني والبيئي والإنشائي المحيط بها لذلك فإنّ نجاح العمل الجداري وبلاغته وتأثيره يتوقف إلى حد كبير على قدرته على الحوار البصري والروحي مع محيطه المباشر، وتجنّب الصراع البصري أو الزخرفي الطاغي أو النشاز الذي قد يشوه المشهد الحضري ويزيد من التلوث البصري بدلا من تقليله.

[1]- محمد عبد العال عبد السلام، الهوية الثقافية الفنية وتحديات العصر، بحث منشور في مؤتمر كلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية، 1995، ص 449.

تتجلى العلاقة التكاملية والجدلية بين الجدارية والمحيط العمراني في عدة مستويات عملية ونظرية:

- ✓ **التوافق اللوني والمادي:** استخدام ألوان وخامات تتناغم وتتناسب مع ألوان المباني المجاورة والمواد المحلية (كالطوب الأحمر الطيني، والحجر الرملي، الأصفر أو البيج، والجص الأبيض الجيري، والخشب الطبيعي، البني، والنحاس الأخضر المتأكسد). وعدم استخدام ألوان صارخة أو متضاربة أو غريبة عن البيئة المحيط والموروث المعماري فالانسجام اللوني يخلق إحساسا بالوحدة والهدوء والاستمرارية.
- ✓ **مراعاة المقياس والنسبة:** تصميم الجدارية بعناية فائقة بما يتناسب ويتلاءم مع حجم الجدار المعني، وعرض الشارع أو الميدان أو الساحة، وارتفاع المبنى، ومسافات النظر المعتادة للمشاة والسائقين، فالجدارية الصغيرة الحجم على جدار كبير جدا تضيع وتفقد تأثيرها، بينما الجدارية الضخمة المتضخمة في زقاق ضيق جدا تخنق المارّة وتسبب لهم إزعاجا وإحساسا بالضيق.
- ✓ **الإضاءة والظل:** مراعاة اتجاه ضوء الشمس خلال ساعات اليوم المختلفة (شروق، ظهيرة، غروب)، ومواقع الظلال الثابتة المتحركة التي تلقيها المباني المجاورة والأشجار والأعمدة، لضمان رؤية العمل بوضوح وانسجام في معظم أوقات النهار، وتجنب الوهج البصري المزعج والانعكاسات المسطحة أو تشوه الألوان.
- ✓ **التفاعل الحي مع الحركة والأنشطة البشرية:** تصميم الجدارية بطريقة إبداعية تتفاعل بشكل مرح وذكي مع حركة المشاة والدراجات والمركبات والسيارات، ومع أنشطة الناس اليومية (كالجلوس على المقاعد والتسوق، وانتظاره الحافلات ولعب الأطفال). على سبيل المثال يمكن رسم شجرة كبيرة تمتد أغصانها الوهمية فوق مقعد حقيقي في حديقة عامة لتوفير ظل تخيلي، أو نافورة تبدو وكأن مياهها حقيقية تتدفق وتنساب نحو الرصيف والشارع، مما يخلق وهما بصريا مبهجا ومفاجئا.

- ✓ **الارتباط الدلالي بالمعالم الحضرية:** في بعض المدن الذكية سياحيا، تستخدم الجداريات بشكل استراتيجي لتوجيه الزوار السياح نحو المعالم الحضرية والتاريخية والدينية الهامة (كالمساجد والكنائس والمعابد والمتاحف والأسواق القديمة والقصور)، أو لتحديد هوية الأحياء المختلفة وظيفيا (كحي الفنون والجداريات، حي التاريخ والتراث، حي الطبيعة والبيئة، حير الأطفال والتربية).

العلاقة بين الجدارية والمحيط العمراني ليست علاقة سلبية أو جامدة أو أحادية الاتجاه، بل هي علاقة ديناميكية وجدلية وتفاعلية تتطوّر مع الزمن، إذ تتغيّر الجداريات (تتلاشى ألوانها بفعل الشمس والمطر، يعاد رسمها وترميمها وتعديلها، تغطى بجداريات جديدة، تهدم مع المباني)، وتتغير معها هوية المكان نفسه ونفسية السكان وذاكرتهم الجمعية الجدارية الجيدة تعيد الفضاء العام، محولة إياه من مكان للعبور السريع والصامت إلى مكان للتأمل والدهشة والتفاعل الاجتماعي والحوار الثقافي[1].

3. دور الجدارية في تشكيل الوعي الجماعي والبيئي:

تلعب الجدارية دورا مهما في تشكيل الوعي الجمالي والبيئي، فمن خلال عرض جمالية في الفضاء العام تساهم في تعليم الجمهور وتقديره كما أنها تثري البيئة البصرية للمدن وتجعلها أكثر جاذبية وحيوية.

وفيما يتعلق بالوعي البيئي، يمكن للجداريات أن تلعب دورا توعويا هامًّا، فعندما تصور جدارية جمال الطبيعة أو تسلط الضوء على قضية بيئية فإنها تثير اهتمام المشاهدين وتدفعهم للتفكير في علاقتهم مع البيئة. وقد تساهم في نشر مفاهيم مثل الاستدامة والحفاظ على الطبيعة[2].

---

[1]- بن عزة حياة، الجداريات بوصفها لغة بصرية متنوعة داخلية محققة عضوية المكان، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد 25، 2022، ص 46- 47- 48.

[2]- سحر بطرس نجيب، دور التصوير الجداري في تنمية الوعي الجمالي والبيئي في القرية المصرية بأسيوط في ضوء مبادرة حياة كريمة، مجلة الفنون والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، المجلد 8، العدد 14، 2024، ص 164.

كما أنّ الجداريات التي تستلهم من الطبيعة المحلية تساهم في تعزيز الشعور بالانتماء إلى المكان، وفي تقدير التراث الطبيعي والثقافي للمنطقة، وهذا يكتسب أهمية خاصة في عالم يشهد تزايدا في التجانس الثقافي والبيئي.

ذكرنا أنّ الجداريات تؤدي (خاصة في المدن الكبرى والصغرى على حد سواء) دورا حيويا ومحوريا وأساسيا في تشكيل الوعي الجمالي والبيئي للمجتمع المعاصر، وذلك من خلال آليات متعددة ومتكاملة.

أوّلا– تشكيل الوعي الجمالي (Aestheticconsciousness):

رفع الضائقة العامة وتثقيف العين: بتحريض الناس يوميا وطوال الوقت (دون حاجة إلى دفع تذكرة أو السفر إلى متحف) لأعمال فنية محترفة ومتنوعة ومتجددة، تتحسن ضائقتهم البصرية تدريجيا وبشكل شبه تلقائي، ويصبحون أكثر قدرة على تقدير الجمال والتناغم اللّوني والتكوين، وأكثر انتقادا للقبيح والرديء والزائف وأكثر مطالبة بجودة أعلى في التصميم الحضري والإعلانات واللاّفتات.

إضفاء البهجة وتحسين المزاج والصحة النفسية: للألوان الزاهية والمبهجة والأشكال الجميلة والمتناغمة، والموضوعات الطبيعية المريحة، تقلل من مستويات التوتر والقلق والاكتئاب (وهي أمراض العصر في المدن الكبرى) وتزيد من الشعور بالسعادة والرضا والتفاؤل والانتماء، وهو ما أكّدته العديد من الدراسات في علم النفس البيئي.

خلق معالم جذب سياحي واقتصادي، المدن المليئة بالجداريات المتميزة والمبتكرة والفريدة (مثل مدن: لندن، نيويورك، مكسيكو سيتي، بوينس أيرس، فالبارايسو، مراكش، تونس، العاصمة بيروت،

إسطنبول)، تجذب أعدادا كبيرة من السياح والمصورين ومحبي الفنون ومدوني السفر وصناع المحتوى، مما ينشط الاقتصاد المحلي (فنادق، مطاعم، مقاهي، محلات) ويخلق فرص عمل جديدة[1].

ثانيا– تشكيل الوعي البيئي:

التوعية المباشرة بقضايا البيئة الملحة: الجداريات التي تظهر بوضوح حيوانات مهددة بالانقراض (كالفهود، النمور، السلاحف، الحيتان، الغوريلا)، أو غابات محترقة ومقطوعة، أو بحارا ومحيطات ملوثة بالقارورات البلاستيكية والنفط، أو جبالا تذوب ثلوجها، تثير مشاعر التعاطف والقلق والغضب والأسى لدى المشاهدين، وتدفعهم بقوة للتفكير في مسؤوليتهم الشخصية والجماعية تجاه البيئة وفي الحاجة الملحة لتغيير أنماط الإنتاج والاستهلاك والسياسات الحكومية.

تعزيز السلوكيات الفردية والجماعية الصديقة للبيئة: جداريات تروّج بشكل إيجابي وملهم لإعادة التدوير والتدوير، أو ترشيد استهلاك المياه والكهرباء، أو استخدام الدراجات الهوائية والنقل العام بدل السيارات الخاصة الملوثة، أو زراعة الأشجار والنباتات في المنازل في الشرفات، تسهم بشكل كبير في نشر ثقافة الاستدامة والعيش الأخضر في المجتمع، خاصة بين فئة الشباب والأطفال.

ربط الناس بيئتهم المحلية الطبيعية: عندما يرى الناس في جداريات مدينتهم نباتات وحيوانات وتضاريس ومناخ بلدهم ومدينتهم، يتعرفون عليها بشكل أفضل وأعمق، ويشعرون بالفخر والاعتزاز بها، وبالتالي يصبحون أكثر استعدادا وحماسة لحمايتها والمحافظة عليها والدفاع عنها ضد مشاريع التدمير أو الإهمال، الجدارية تعيد صياغة العلاقة العاطفية بين الإنسان الحديث (المتحضر) وأرضه وطبيعته المحلية.

إعادة تأهيل المناطق المتدهورة بيئيا وعمرانيا: في العديد من المدن حول العالم ساعدت الجداريات الفنية الجميلة والمشرقة في تحويل مصانع مهجورة ملوّثة، ومواقع بناء متروكة قبيحة،

(1)_

ومساحات خضراء مهملة وجافة، وجدران سكك حديدية صدئة، وأسوار خرسانية رمادية، إلى وجهات مفعمة بالحياة والبهجة والجمال، مما شجع السكان المحليين والبلديات على الاهتمام بها نظافيا وأمنيا، والمحافظة عليها من التخريب والإهمال، وتحويلها إلى حدائق ومتنزهات وساحات عامة ومسارات للمشي وركوب الدراجات[1].

_[1]

الفصل الثالث:

الدراسة الميدانية "جداريات مدينة تلمسان نموذجا"

المبحث الأول: الإطار العام لمدينة تلمسان

1. لمحة تاريخية وجغرافية من مدينة تلمسان:

تقع مدينة تلمسان (تيميماس بالأمازيغية"، "العيون الجارية"، "و"تالة إيمان") في الشمال الغربي للجزائر، على بعد حوالي 55 كيلومترا من البحر الأبيض المتوسط، وحوالي 600 كيلومتر غرب العاصمة الجزائر، يحدها شمالا البحر المتوسط (ساحل رائع يمتد من مرسى بن مهيدي إلى الغزوات)، وشرقا جبال بني سنوس الشاهقة (بعلو يصل إلى 1300متر)، وغربا جبال ترارة (التي تشكل الحدود الطبيعية مع المغرب الأقصى)، وجنوبا سهوب وسهول السايس، تأسست مدينة تلمسان في العصر الروماني (القرن الثالث الميلادي) تحت اسم "بوماريا" (Pomaria) أي "المدينة البستانية" أو"مدينة الفواكه"، نظرا لخصوبة أراضيها ووفرة مياهها، لكنها بلغت أوج ازدهارها الذهبي في العصر الإسلامي الوسيط، حيث تعاقبت عليها دول المرابطين (القرن الحادي عشر)، والموحدين (القرن الثاني عشر)، ثم الزيانيين (بنو زيان 1236- 1556م) الذين جعلوها عاصمة لمملكتهم الممتدة من وادي الشلف شرقا إلى ملوية غربا، وأصبحت مركزا إشعاعيا للحضارة والعلوم والفنون والتجارة والصناعة، مما أكسبها ألقابا كثيرة كـ"لؤلؤة المغرب الكبير" عاصمة الزيانيين "غرناطة إفريقيا"، "الحبة الموعودة"، و"المدينة الزاهية"[1].

تتمتع تلمسان بمناخ متوسطي وتضاريس متنوعة تجمع بين السواحل الساحرة، السهول الخصبة، والجبال المكسوة بالغابات (مثل الحديقة الوطنية لتلمسان) وتتميز بتراث معماري وفني غني ومتنوع وفريد يضم مساجد ومدارس (مدارس قرآنية وفقهية) وأضرحة (زوايا) وقصورا وأسوارا تعود إلى عصور مختلفة (مرابطية، موحدية، زيانية، مرينية، عثمانية)[2]، من أبرز هذه المعالم الخالدة:

[1]- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 7 وص 8.

[2] -Press et canal, les villes d'Algerie, Tlemcen.

5. **المسجد الكبير في تلمسان:** بناه الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين عام 1082م (أو 1136 حسب مصادر)ويتميز بمنارته المربعة الضخمة، ومحرابه الجميل، وثريات البرونز الرائعة، وزخارفه الجصية والنباتية.
6. **مسجد سيدي بومدين (أبو مدين شعيب):** بناه السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول في القرن الرابع عشر (1399م) فوق ضريح الولي الصوفي الشهير أبو مدين شعيب، ويعتبر تحفة معمارية وأثرية وفنية، ويجمع بين المدرسة والمسجد والضريح والحمامات والبساتين[1].
7. **مدرسة تلمسان (المدرسة التاشفينية):** بناها السلطان المريني أبو يعقوب يوسف في 1347م، وتتميز بزخارفها الجصية والخشبية والخزفية الرائعة (الزليج)، ومقرنماتها المتقنة، وهي نموذج رائع للعمارة المدرسية المغاربية.
8. **قصر المشور:** المقر القديم لسلاطين الزيانيين، يقع في قلب المدينة العتيقة، يتميز بأسواره العالية وأبراجه وأبوابه الضخمة وساحاته الداخلية الفسيحة وزخارفه الجميلة، يعود تاريخه إلى القرن الثالث عشر الميلادي.
9. **أسوار المدينة العتيقة (سور تلمسان):** أسوار ضخمة شيدها الزيانيون لحماية المدينة من الغزوات، تمتد لعدة كيلومترات، وتضم العديد من الأبراج والأبواب التاريخية (كباب العقبة، باب القرمادين، باب الجديد).
10. **المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية:** يقع في قصر قديم يعود للعهد العثماني، ويضم مجموعة نفيسة ومتنوعة من الأزياء التقليدية التلمسانية (كاراكو، شدة، قطيفة، حايك)، والحلي القضية والذهبية، والمخطوطات القرآنية والعلمية والأسلحة التقليدية، والأدوات

[1]- ليلى بن آباجي، مآذن تلمسان دراسة فنية معمارية، مجلة منبر التراث الأثري، المجلد 1، العدد 1، 2012، ص 278- ص 285.

الموسيقية (الأندلسية)، والخزف والنحاس والخشب، يعد هذا المتحف مرجعا أساسيا لدراسة الثقافة والفنون التلمسانية العريقة.

تعد تلمسان اليوم مركزا حضريا مهما (حوالي 200000 نسمة داخل البلدية وأكثر من 950000 في الولاية) وعاصمة لولاية تحمل اسمها (ولاية تلمسان)، وتشتهر بزراعة الزيتون (زيتون تلمسان العضوي الفاخر)، والتين، والكروم (إنتاج النبيذ في العهد الاستعماري سابقا، والكرمس اليوم)، والحبوب والصناعات التقليدية (كالنحاس الأصفر المطروق والمفصص والجلود المدبوغة، والنسيج الصوفي (الشاشية والبرنوس) والخزف الملون (الزليج) والخشب المنحوت والمطعم بالصدف[1].

2. الخصوصية الطبيعية والبيئية للمدينة:

تمتاز تلمسان بخصوصية طبيعية فريدة من نوعها في الجزائر وشمال إفريقيا، أهلتها لتكون وجهة سياحية وبيئية هامّة ومقصدا للعديد من الباحثين والمصورين والمغامرين، وتتجلى هذه الخصوصية والتنوع البيولوجي في:

- ✓ الموقع الجبلي: تحيط بتلمسان سلسلة جبال الأطلس التلي الوعرة (جبال بني سنوس، وترارة، والفحص، عين فزة، وتريارة) مما يمنحها مناظر طبيعية خلابة وساحرة، وهواءا نقيا ومنعشا، ومناخا معتدلا نسبيا صيفا وباردا ممطرا شتاءا (مع تساقط ثلوج كثيفة أحيانا على القمم العالية) هذه الجبال هي موطن للعديد من الكهوف والمغارات والأودية العميقة.
- ✓ الغطاء النباتي الكثيف والمتنوع: تشتهر تلمسان بغاباتها الكثيفة والعذراء أحيانا (خاصة غابة زكري) التي تعدّ من أكبر الغابات في الجزائر، وغابة عين فزة الرائعة، وغابة منصورة)، التي تضم أشجارا معمرة كالأرز الأطلسي، المهيب (الذي يصل عمر بعض أشجاره إلى آلاف السنين) والبلوط الفليني والبلوط الأخضر، والصنوبر الجبلي والعرعار، بالإضافة إلى أشجار الزيتون والتين

[1]- بن داود إبراهيم، جمال عبد الكريم، البعد الحضاري التكاملي بين حاضرة تلمسان والأندلس، مجلة التراث، جامعة زيات عاشور، الجلفة، العدد 2، الجزائر، 2012، ص 265.

والرمان واللّوز المعمّرة في السهول والبساتين. كما تضمّ المدينة حدائق عريقة وأنيقة (كحديقة لالة ستي) التاريخية (التي تأسست في العهد العثماني) وحديقة البيبان، وحديقة سيدي بومدين وحديقة أولاد رياح ... التي تزخر بأشجار النخيل والأزهار الملونة والنوافير الرخامية.

- ✓ المسطحات المائية الوفيرة: تتوفر تلمسان على ثروة مائية جوفية وسطحية مهمة جدا (بفضل جبالها وتضاريسها)، تتمثل في العيون والينابيع العذبة المتدفقة (كعين فزة ذات المياه الكبريتية، وعين الحوت، عين سيدي بومدين ...) والأودية الموسمية والدائمة (كيسير وادي مزقران) والشلالات الخلابة (كشلال أوريت في غابة عين فزة، شلالات الوريط الشهيرة على بعد 30 كلم من المدينة، والتي تعد من أجمل الشلالات في إفريقيا بارتفاع يزيد عن 80 مترا).
- ✓ التنوع البيولوجي الفريد: تضاريس تلمسان المتنوعة (جبال عالية، غابات كثيفة، سهول خصبة، مسطحات مائية عذبة، مغارات عميقة) تؤوي تنوعا بيولوجيا غنيا ونادرا من نباتات وحيوانات (كالثعلب الأحمر، والغزال الجبلي، الخنزير البري، الارنب البري، الأفعى القرناء، النسر الذهبي، العقاب الثعباني، الصقر الحرّ ...) هذه الثروة الطبيعية تجعل من تلمسان محمية طبيعية واعدة ومصدر إلهام لا ينضب للفنانين والشعراء والمصورين وعلماء البيئة[1].

هذه الخصوصية الطبيعية الفريدة والمتنوعة شكلت بلا شك مصدر إلهام دائم وأساسي لكثير من الفنانين التشكيليين التلمسانيين عبر العصور، حضرت بقوة وجمال في إبداعاتهم التشكيلية والجدارية والنحتية والشعرية، كما سنرى في تحليل الجداريات. وقد تناولت بعض الدراسات الأكاديمية المحلية (كأطروحات ورسائل جامعية من جامعة تلمسان أبي بكر بلقايد) الفسيفساء والزخارف الطبيعية في التراث التلمساني، من خلال دراسة تحليلية لجدارية فسيفساء رومانية أو إسلامية متواجدة وسط المدينة أو في متحف تلمسان.

[1]– مديرية السياحة والصناعة التقليدية لولاية تلمسان(معلومات جغرافية وتاريخية للمدينة)، تقرير حول المؤهلات الطبيعية والثقافية لولاية تلمسان، نشر إلكتروني 2023، تاريخ الدخول (14 أفريل 2026).

3. الحراك الفني والتشكيلي في تلمسان:

تتمتع تلمسان بحراك فني وتشكيلي نشط ومتنام ومتجدد يعود جذوره العميقة إلى عمق تاريخها الثقافي والحضاري الغني (بفعل الإشعاع الفني للعصر الزياني والمريني والأندلسي). وقد تجسد هذا الحراك في عدة مظاهر ومؤسسات وفعاليات.

تعد مدينة تلمسان من أبرز المراكز الثقافية في الجزائر، لما تتميز به من رصيد حضاري متنوع يجمع بين التأثيرات الأندلسية والإسلامية والمحلية، وهو ما انعكس بشكل واضح على الحراك الفني والتشكيلي فيها فقط ساهمت الطبيعة الفنية التي تحيط بالمدينة، من جبال وغابات ومواقع طبيعية في تشكيل حس جمالي خاص لدى الفنان، حيث أصبحت الطبيعة مرجعا بصريا ومصدرا أساسيا للإلهام الفني، يتجلّى في مختلف الإنتاجات التشكيلية[1].

وقد عرف الحراك الفني في تلمسان تطورا ملحوظا خاصة منذ بداية الألفية الثالثة من خلال تنامي عدد الفنانين التشكيليين وازدياد الاهتمام بالممارسات الفنية المعاصرة، ويتجلّى ذلك في تنظيم المعارف الفردية والجماعية، والورشات التكوينية، إضافة إلى إدماج الفن في الفضاءات العمومية. كما ساهمت مؤسسات ثقافية على غرار دار الثقافة عبد القادر علولة، في احتضان هذه الأنشطة وتوفير فضاءات للتعبير الفني، مما عزز من ديناميكية المشهد التشكيلي المحلي[2].

ومن أبرز تجليات هذا الحراك، انتشار الفن الجداري كوسيلة تعبير بصري في الفضاء الحضري، حيث تحولت الجدران إلى دعائم فنية تعكس قضايا المجتمع وتستحضر عناصر الطبيعة، ويلاحظ أنّ العديد من الجداريات في تلمسان تستلهم موضوعاتها من البيئة المحلية، كالجبال والأشجار والسماء،

---

[1]- بركات سعيد محمد، الفن الجداري، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص 44- ص 46.

[2]- وزارة الثقافة الجزائرية، دليل المؤسسات الثقافية في الجزائر، الجزائر، ص 20- 23.

وتعالج بأساليب لونية حديثة تجمع بين الواقعية والتجريد، وهذا يعكس وعيا فنيا متقدما بدور الفن في تجميل المحيط العمراني وتعزيز الحس البيئي لدى الأفراد.

كما لعبت التظاهرات الثقافية الكبرى دورا محوريا في تنشيط هذا الحراك، خاصة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، التي شكّلت نقطة تحوّل في المشهد الثقافي والفني للمدينة، حيث تم خلالها إنجاز العديد من المشاريع الفنية، من بينها جداريات ذات طابع تراثي وطبيعي ساهمت في إبراز الهوية البصرية للمدينة وربطها بمحيطها البيئي والتاريخي[1].

إضافة إلى ذلك يعكس الحراك التشكيلي في تلمسان توجها نحو توظيف الفن كوسيلة للتوعية البيئية والثقافية، حيث أصبحت الجداريات تحمل رسائل تتعلق بالحفاظ على الطبيعة والتوازن الإيكولوجي، وهو ما يؤكّد أنّ الفن لم يعد مجرّد تعبير جمالي، بل أصبح أداة تواصل مجتمعي تساهم في تشكيل الوعي الجماعي وتعزيز الانتماء المحلي[2].

وعليه يمكن القول أنّ الحراك الفني والتشكيلي في تلمسان يمثل تجربة متكاملة تتقاطع فيها الطبيعة مع الفن حيث تتحول البيئة إلى مصدر إبداعي يثري العمل الفني، ويمنحه بعدا هوياتيا وثقافيا يعكس خصوصية المدينة.

المبحث الثاني: منهجية الدراسة الميدانية

1. المنهج المتبع (الوصفي والتحليلي):

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في دراسة جداريات تلمسان، فالمنهج الوصفي يسمح بجمع البيانات والمعلومات حول الظاهرة في الدراسة، ووصفها بدقة، بينما يتيح المنهج التحليلي فحص هذه البيانات وتحليلها لفهم العلاقات والدلالات الكامنة فيها.

---

[1]- وزارة الثقافة الجزائرية، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، الجزائر، ص 58- 62.

[2]- عبد السلام محمد عبد العالي، الهوية الثقافية الفنية وتحديات العصر، القاهرة، دار الفكر، 2010، ص 112- 118.

وتضمنت الدراسة عدّة مراحل: المرحلة الأولى هي جمع البيانات من خلال الملاحظة المباشرة والتصوير الفوتوغرافي للجداريات. والمرحلة الثانية هي وصف الجداريات وصفا دقيقا، مع تحديد العناصر الطبيعية المستخدمة والأساليب والتقنيات المتبعة، والمرحلة الثالثة هي التحليل الفني والدلالي للجداريات، لفهم الرسائل والمعاني التي تحملها.

كما استعانت الدراسة بالمصادر الثانوية من كتب ودراسات سابقة حول الفن الجداري والفن التشكيلي في الجزائر لتوفير إطار نظري يساعد على فهم الظاهرة المدروسة.

2. عينة الدراسة (اختيار الجداريات)

تكونت عينة الدراسة من مجموعة من الجداريات في مدينة تلمسان تم اختيارها وفق معايير محددة، فقد ركز الاختيار على الجداريات التي تتضمن عناصر طبيعية في موضوعاتها سواء كانت جداريات رسمية أو أعمال فن شارع، كما تم مراعاة التنوع في الأساليب والتقنيات المستخدمة، والفترات الزمنية المختلفة.

وشملت العينة جداريات من مناطق مختلفة في المدينة لنعطي صورة شاملة عن التجربة الجدارية في تلمسان، فقد شملت جداريات في وسط المدينة وأخرى في الأحياء القديمة وأخرى في الأحياء الحديثة وجداريات تزين مؤسسات عامة أو خاصة.

3. أدوات البحث (الملاحظة، التصوير، التحليل الفني):

لجمع البيانات والمعلومات اللازمة عن عينة الدراسة الميدانية، تم استخدام مجموعة متكاملة من الأدوات البحثية الميدانية والنظرية.

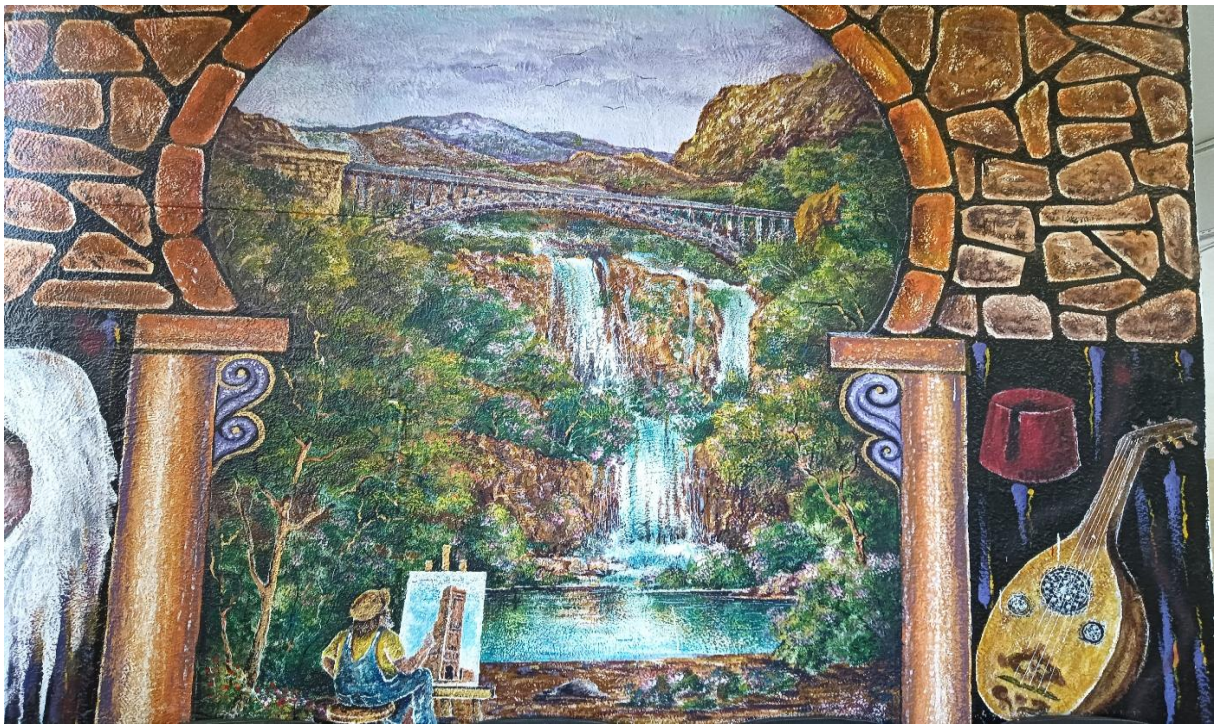
الملاحظة المباشرة كانت الأداة الأساسية حيث تم زيارة مواقع الجداريات وملاحظتها في سياقها الحضري، وقد ركزت الملاحظة على العناصر المرئية للجدارية (الألوان، الخطوط، التكوين) وعلى علاقتها بالمحيط المعماري.

كما تم استخدام التصوير الفوتوغرافي لتوثيق الجداريات، مما يسمح بدراستها بشكل أدق وإعادة النظر في التفاصيل وقد تم التقاط صور من زوايا مختلفة، مع مراعاة الإضاءة الطبيعية.

أمّا التحليل الفني، فقد تضمن تحليل العناصر التشكيلية (اللون، الخط، الشكل، التكوين) وتحليل المحتوى والدلالات. فقد تم تحليل الألوان المستخدمة وعلاقتها بالطبيعة المحلية، وتحليل الطريقة التي ولجت بها العناصر الطبيعية (واقعيا، تجريديا، رمزيا) وتحليل الرسائل والمعاني التي تحملها الجدارية.

المبحث الثالث: تحليل نماذج مختارة من الجداريات

تم اختيار النماذج الجدارية محل الدراسة اعتمادا على المعاينة الميدانية المباشرة بمدينة تلمسان، وذلك لكونها تمثل نماذج واضحة لموضوع الطبيعة كمصدر إلهام في الفن الجداري، وتبرز حضور العناصر الطبيعية داخل الفضاء الحضري والثقافي، وقد قمت أنا كطالبة باحثة بزيارة المواقع المختارة ميدانيا، مع توثيق الجداريات عن طريق التصوير الفوتوغرافي بواسطة هاتفي النقال، قصد تسجيل الخصائص البصرية والتشكيلية لكل عمل، وتسهيل عملية الوصف والتحليل الفني والدلالي. كما تم الاعتماد على الملاحظة المباشرة، إلى جانب بعض الإفادات الشخصية للفنانين من أجل ضمان دقة المعلومات المتعلقة بموقع الجدارية، خاماتها، وظروف إنجازها.



الشكل (1)[1]: البطاقة التقنية/ التقنية للجدارية

[1]–الشكل 1: جدارية الفنان بختي الجزائري، بدار الثقافة عبد القادر علولة، 18-10-2014، تصوير ميداني بواسطة الهاتف النقال.

- **عنوان الجدارية:** جدارية الطبيعة والفن والتراث
- **الموقع:** الفناء الداخلي لدار الثقافة عبد القادر علولة بوسط مدينة تلمسان نهج أول نوفمبر، حيث الجدارية الساحة الداخلية، حيث تقع في الواجهة البصرية الرئيسية التي يلاحظها الزائر مباشرة بعد الدخول إلى المؤسسة الثقافية.
- **النوع:** جدارية فنية خارجية
- **الموضوع:** الطبيعة كمصدر الإلهام الفني وعلاقتها بالتراث الثقافي
- **الفنان:** بختي عبد الكمال الجزائري "غزوات" تلمسان
- **سنة الإنجاز:** 18-10-2014
- **الخامة المستعملة:** ألوان جدارية وأصباغ أكريليك على جدار إسمنتي خارجي
- **الأبعاد:** كبيرة الحجم ومتناسقة مع مساحة الجدار
- **الأسلوب الفني:** واقعي رمزي مع توظيف عناصر تراثية وثقافية
- **الحالة الراهنة:** جدارية ظاهرة للعموم وتحمل بعض آثار العوامل المناخية

1. الوصف العام للعمل ⇐ الشكل (1)

تعد الجدارية التي أنجزها الفنان "بختي الجزائري" المؤرخة في 2014- 10- 18 والموقعة من طرفه، عملا فنيا جداريا يندرج ضمن الفنون التشكيلية المعاصرة المرتبطة بالفضاء العام، تتموضع الجدارية في دار الثقافة "عبد القادر علولة" الموجودة بوسط مدينة تلمسان بجانب قلعة المشور، حيث تتفاعل مع المحيط العمراني والثقافي للمكان، يعكس العمل رؤية فنية تعتمد على توظيف العناصر البصرية لإبراز علاقة الإنسان بالطبيعة، مع الحفاظ على طابع جمالي يخدم الفضاء العمومي ويمنحه قيمة بصرية إضافية،

* قناة TV النهار، تلمسان، بختي الجزائري "فنك" من التحدي إلى البحث في الفن التشكيلي، تقرير إعلامي من إعداد أمين مسعودي منشور على منصة يوتيوب بتاريخ 21 جوان 2020، تمت المعاينة يوم 10 أفريل 2026 على الساعة 10 صباحا.

وقد تم توثيقها ميدانيا من طرفي أنا كباحثة اعتمادا على التصوير الشخصي بواسطة الهاتف النقال، ممّا يضمن دقة المعاينة المباشرة للعمل في سياقه المكاني الأصلي بدار الثقافة.

تمثل الجدارية مشهدا طبيعيا غنيا يجمع بين الشلالات المتدفقة، الجبال، الأشجار، والبحيرة الهادئة، إضافة إلى جسر يمتد بين المرتفعات، في مشهد يوحي بالانسجام بين الطبيعة والعمران.

ويحيط بهذا المشهد إطار معماري على شكل قوس حجري مدعم بعمودين زخرفيين، وهو ما يضفي طابعا تراثيا واضحا كما تظهر عناصر ثقافية مثل آلة العود وشخصية الرسام الجالس أمام لوحته، مما يعكس العلاقة بين الطبيعة والفن والهوية الثقافية المحلية، وتبدو الجدارية وكأنها نافذة مفتوحة على الطبيعة، حيث يمتزج فيها البعد الجمالي بالبعد الرمزي.

2. العناصر الطبيعية الموظفة:

اعتمد الفنان على عدة عناصر طبيعية شكلت البنية الأساسية للعمل، ومن أبرزها:

- ✓ الشلالات المائية التي تحتل مركز الجدارية وتمثل العنصر الأكثر وضوحا.
- ✓ الجبال والصخور التي تشكل الخلفية وتمنح المشهد الإحساس بالثبات والعمق.
- ✓ الأشجار والنباتات المنتشرة بكثافة حول الماء، والتي تضفي الحيوية والخصوبة.
- ✓ البحيرة الهادئة في أسفل المشهد والتي تعكس السكون والتوازن.
- ✓ السماء والطيور التير تمنح الإحساس بالانفتاح والحرية.
- ✓ الضوء الطبيعي الذي يظهر من خلال انعكاسه على الماء والصخور والأشجار.

هذه العناصر تؤكد حضور الطبيعة كعنصر جمالي ورمزي في آن واحد.

3. التحليل الشكلي:

- **اللّون:** اعتمد الفنان على ألوان طبيعية واقعية يغلب عليها الأخضر، الأزرق، البني، والأبيض. فالأخضر يدل على الحياة والنماء، والازرق يرمز إلى الصفاء والهدوء، بينما يعبر البني عن الأرض

والثبات، ويمنح الأبيض للماء إحساسا بالنقاء والحركة، كما يظهر اللّون الذهبي في آلة العود وبعض التفاصيل المعمارية، ممّا يعزز البعد التراثي.

- **الخط**: تنوعت الخطوط داخل الجدارية بين الخطوط العمودية في الشلالات التي توحي بالحركة والانسياب، والخطوط الأفقية في الجسر والبحيرة التي تعكس الهدوء والاستقرار، إضافة إلى الخطوط المنحنية في القوس الحجري والأشجار التي تضيف نعومة وانسجاما بصريا.
- **التكوين**: اعتمد الفنان على تكوين مركزي يتمثل في الشلال الرئيسي الذي يشكل نقطة جذب بصرية واضحة، كما يعمل القوس الحجري كإطار بصري يوجه عين المشاهد نحو نصف اللّوحة، ويساهم وجود العود والرسام في أسفل الجدارية في خلق توازن بين الطبيعة والفن، وبين الإنسان والمكان.

4. التحليل الدلالي والرمزي:

تحمل الجدارية دلالات رمزية متعددة، حيث يرمز الماء إلى الحياة والتجدد والاستمرارية، بينما الجبال إلى الثبات والقوة والهوية الراسخة أمّا الجسر فيمثّل التواصل بين الإنسان والطبيعة وبين الماضي والحاضر. وترمز آلة العود إلى التراث الموسيقي والثقافي المحكي، خاصة في مدينة مثل تلمسان المعروفة بموروثها الأندلسي، كما يمثل الرسام العلاقة المباشرة بين الفنان والطبيعة. ويؤكد أنّ الطبيعة ممر أساسي للإلهام الفني، أمّا القوس الحجري فيرمز إلى الأصالة والانتماء المعماري المحلي.

وبذلك تتحول الجدارية إلى خطاب بصري يجمع بين الجمال الطبيعي والهوية الثقافية.

5. مدى ارتباط الجدارية بالبيئة المحلية:

ترتبط هذه الجدارية بالبيئة المحلية ارتباطا وثيقا سواء من الناحية الطبيعية أو الثقافية. فمن الناحية الطبيعية، تعكس الجبال والمياه والخضرة الخصائص البيئية التي تميز بعض مناطق تلمسان وضواحيها مما يجعل المشهد قريبا من الواقع المحلي.

أمّا من الناحية المعمارية فإنّ القوس الحجري والزخارف التقليدية يعكسان الطابع الأندلسي والمغاربي المتعارف في عمارة تلمسان، كما أنّ حضور آلة العود يربط الجدارية بالموروث الموسيقي المحلي، خاصة الموسيقى الأندلسية التي تشكّل جزءا من هوية المدينة الثقافية.

إضافة إلى ذلك، فإنّ لوجود الجدارية داخل دار الثقافة وهو فضاء ثقافي وتاريخي مهم يمنحها بعدا حضاريا خاصا، حيث أصبحت جزءا من الذاكرة الجماعية والزمن الفني للمكان، مما يعزز من قيمتها الفنية والرمزية. ولذلك فإنّ الجدارية لا تمثل الطبيعة فقط، بل تعبّر عن علاقة الإنسان المحلي ببيئته وتراثه وهويته الثقافية.



الشكل (2)[1]: البطاقة التقنية/ التقنية للجدارية

[1]–الشكل 2: من إعداد الطالبة اعتمادا على المعاينة الميدانية والتصوير الشخصي لجدارية المنظر الطبيعي المنجزة على الجدار الخارجي لفندق الزيانيين، تلمسان 18 أفريل 2026 على الساعة 13:25.

- **عنوان الجدارية:** جدارية الطبيعة والمنظر الطبيعي
- **الموقع:** الجدار الخارجي لفندق الزيانيين بمدينة تلمسان- الجزائر
- **النوع:** جدارية فنية خارجية
- **الموضوع:** الطبيعة كمصدر إلهام بصري وجمالي
- **المنجز:** مجموعة من الفنانين المحليين ضمن عمل فني جماعي
- **الخامة المستعملة:** ألوان أكريليك وأصباغ جدارية على جدار إسمنتي خارجي
- **الأبعاد:** كبيرة نسبيا ومتناسبة مع مساحة الجدار الخارجي
- **التاريخ:** منجز معاصر من مشروع التزيين الحضري
- **الأسلوب:** واقعي تعبيري مع توظيف زخرفي تراثي
- **الحالة الراهنة:** جدارية مفتوحة للعرض العام ضمن الفضاء الحضري

1. الوصف العام للعمل

تمثّل هذه الجدارية مشهدا طبيعيا متكاملا يعكس حضور الطبيعة بوصفها مصدرا أساسيا للإلهام الفني، حيث تتوسط اللّوحة صورة مجرى مائي تحيط به الصخور والنباتات والأشجار، مع ظهور شلال صغير ينحدر من الأعلى نحو مجرى الماء، إضافة إلى جسر مقوس يربط بين جانبي المشهد الطبيعي في الجزء العلوي من العمل.

وقد اعتمد الفنان على بناء بصري هادئ ومتوازن، يوحي بالسكينة والانسجام البيئي، كما أحيط المشهد الطبيعي بزخارف هندسية ذات طابع أندلسي واسلامي، مما يمنح الجدارية بعدا تراثيا مرتبطا بالهوية المحلية لمدينة تلمسان، ويلاحظ أن الجدارية لا تقتصر على تمثيل الطبيعة بصورتها المباشرة، بل تتجاوز ذلك إلى التعبير عن العلاقة بين الإنسان والمكان، وبين الجمال الطبيعي والذاكرة الثقافية للمدينة.

وتكتسب الجدارية أهميتها من موقعها على الجدار الخارجي لفندق الزيانيين، حيث تتحوّل من مجرّد عمل تزييني إلى عنصر بصري يساهم في تجميل الفضاء الحضري وتعزيز الحس الجمالي لدى المارة والزوار.

2. العناصر الطبيعية الموظفة في الجدارية

تضمنت الجدارية مجموعة من العناصر الطبيعية التي شكلت البنية الأساسية للتكوين الفني، ومن أبرزها:

- ✓ **الماء**: يظهر في شكل مجرى مائي وشلال صغير ويعد العنصر المركزي في الجدارية، حيث يرمز إلى الحياة والتجدد والاستمرارية.
- ✓ **الصخور**: توزعت الصخور داخل مجرى الماء وعلى أطرافه، مما أضفى على المشهد طابعا طبيعيا واقعيا، كما ساهمت في تحقيق التوازن البصري.
- ✓ **الأشجار والنباتات**:تمثل مظاهر الخصوبة والحياة، وتمنح الجدارية بعدا بيئيا يعكس العلاقة بين الإنسان والطبيعة.
- ✓ **الجسر**: وهو عنصر معماري مندمج داخل الطبيعة، يرمز إلى التواصل والربط بين ضفتي المكان، كما يعكس حضور الإنسان داخل المشهد الطبيعي.
- ✓ **السماء والمرتفعات**: تمنح المشهد امتدادا بصريا وعمقا فضائيا، وتساعد في خلق الإحساس بالانفتاح والاتساع.

3. التحليل الشكلي (اللون– الخط– التكوين)

- **اللّون**: هيمنت الألوان الباردة مثل الأزرق والأخضر بدرجات مختلفة وهي ألوان ترتبط بالهدوء والصفاء والطبيعة الحية، كما حضرت الألوان الترابية مثل البني والأحمر في الصخور لإضفاء التوازن والدفء داخل المشهد، بينما يساهم اللون الأبيض في إبراز حركة الماء والشلال.

- **الخط**: اعتمدت الجدارية على تنوع خطي واضح، حيث تظهر الخطوط المنحنية في الماء والأشجار والنباتات مما يخلق إحساسا بالحركة والانسيابية. في حين حظرت الخطوط المستقيمة والهندسية في الجسر والزخارف الجانبية وهو ما منح العمل نوعا من التوازن بين الطبيعة والنظام البنائي.
- **التكوين**: يقوم التكوين على مركزية العنصر الطبيعي، حيث يحتل مجرى الماء مركز الجدارية، وتتوزع باقي العناصر حوله بشكل متوازن منسجم، كما ساهم الجسر في الجزء العلوي من خلق عمق بصري وربط بين أجزاء المشهد، بينما شكلت الزخارف الحاشية إطارا بصريا يعزز وحدة العمل.

4. التحليل الدلالي والرمزي

تحمل الجدارية مجموعة من الدلالات الرمزية المرتبطة بالطبيعة والهوية الثقافية، فالماء يرمز إلى الحياة والنقاء والاستمرارية، بينما يعبر الشلال عن التجدد والحركة الدائمة، أمّا الجسر فيمثّل رمزا للتواصل والعبور والاستمرارية بين الماضي والحاضر.

وتشير الأشجار والنباتات إلى الخصوبة والاستقرار البيئي، في حين تعكس الصخور معنى الثبات والرسوخ، أمّا الزخارف الهندسية ذات الطابع الأندلسي والإسلامي، فهي ترمز إلى البعد الحضاري والتراثي لمدينة تلمسان وتؤكد حضور الهوية المحلية داخل العمل الفني.

وبذلك تتحوّل الجدارية من مجرّد تصوير بصري للطبيعة إلى خطاب فني يحمل معاني الانتماء والذاكرة الثقافية والجمالية.

5. مدى ارتباط الجدارية بالبيئة المحلية

ترتبط هذه الجدارية ارتباطا وثيقا بالبيئة المحلية لمدينة تلمسان، سواء من حيث الموضوع أو من حيث الرموز البصرية المستعملة، فالطبيعة الممثلة في العمل تستحضر المشاهد الطبيعية المنتشرة في المنطقة، مثل المياه الجارية، التضاريس الصخرية، والغطاء النباتي وهي عناصر مألوفة في البيئة التلمسانية.

كما أنّ توظيف الزخارف الهندسية التحليلية يعكس الامتداد الحضاري الأندلسي والإسلامي الذي تتميز به المدينة، ويجعل الجدارية امتدادا بصريا للهوية المعمارية والثقافية المحلية.

ووجود هذه الجدارية على الجدار الخارجي لفندق الزيانيين يمنحها وظيفة مزدوجة، فهي من جهة عنصر جمالي يزين الفضاء الحضري، ومن جهة أخرى وسيلة فنية تحفظ الذاكرة البصرية للمكان وتعزز الوعي البيئي والثقافي لدى المجتمع.

ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار الجدارية نموذجا واضحا لكيفية تحوّل الطبيعة إلى مصدر إلهام فني يعبر عن هوية المكان والانتماء الثقافي.



الشكل (3)[1]: البطاقة التقنية/ التقنية للجدارية

[1]–الشكل 3: من إعداد الطالبة اعتمادا على المعاينة الميدانية لجدارية والتصوير الشخصي لجدارية الجبال والطبيعة الهادئة بـ"حي الكرز" بمدينة تلمسان 18 أفريل 2026 على الساعة 16:40.

- **عنوان الجدارية:** جدارية الجبال والطبيعة الهادئة
- **الموقع:** حي الكرز وسط مدينة تلمسان
- **النوع:** جدارية فنية خارجية
- **الموضوع:** الطبيعة الجبلية كمصدر للإلهام الفني
- **المنجز:**مجموعة من الفنانين المحليين ضمن عمل فني جماعي
- **الخامة المستعملة:** ألوان جدارية وأصباغ أكريليك على جدار إسمنتي خارجي
- **الأبعاد:** كبيرة نسبيا ومتناسبة مع مساحة الجدار
- **التاريخ:**منجز معاصر ضمن مشروع التزيين الحضري
- **الأسلوب الفني:** واقعي مبسط و طبع تأملي
- **الحالة الراهنة:** جدارية ظاهرة للعموم ضمن الفضاء الحضري مع آثار تآكل زمني واضحة.

1. الوصف العام للعمل:

تمثل هذه الجدارية مشهدا طبيعيا هادئا مستوحى من البيئة الجبلية، حيث تظهر مجموعة من الجبال الشاهقة في الخلفية تتوسط مساحة العمل، تقابلها في الأسفل مساحة مائية ساكنة تعكس إحساسا بالهدوء والاستقرار البصري، ويلاحظ أنّ الفنان اعتمد على تبسيط العناصر الطبيعية وعدم الاكثار من التفاصيل الدقيقة مما منح الجدارية طابعا تأمليا أقرب إلى التعبير الهادئ للطبيعة.

كما تحيط بالمشهد الرئيسي حدود جانبية ذات زخارف لونية بسيطة تضفي نوعا من التأطير البصري للعمل دون أن تطغى على العنصر الطبيعي الأساسي ويبرز في هذه الجدارية التركيز على العلاقة بين الجبل والماء باعتبارهما عنصرين طبيعيين يحملان دلالات القوة والثبات من جهة، والصفاء والاستمرارية من جهة أخرى.

وتكتسب الجدارية أهمية خاصة من موقعها على الجدار الخارجي "بحي الكرز"، حيث تسهم في تجميل الفضاء الحضري وتحويل الاجدار من عنصر معماري صامت إلى مساحة فنية تعبّر عن الجمال الطبيعي والهوية المحلية.

2. العناصر الطبيعية الموظفة في الجدارية:

اعتمدت الجدارية على مجموعة من العناصر الطبيعية الأساسية التي شكلت البناء البصري للعمل، ومن أبرزها:

- ✓ **الجبال:** تمثل العنصر الرئيسي في التكوين، وتظهر في الخلفية بشكل واضح وترمز إلى القوة والثبات والسمو، كما تعكس الامتداد الطبيعي المفتوح.
- ✓ **الماء:** يظهر في الجزء السفلي من الجدارية في شكل سطح مائي هادئ، ويرمز إلى الصفاء والاستمرارية والتوازن الطبيعي.
- ✓ **الانعكاس الطبيعي:** يعكس سطح الماء صورة الجبال، مما يضفي على المشهد بعدا جماليا وتأمّليا، ويعزّز الإحساس بالهدوء البصري.
- ✓ **الفضاء المفتوح:** يساهم الفراغ الواسع في منح المشهد إحساسا بالاتساع والراحة النفسية، ويؤكّد حضور الطبيعة بصورتها الهادئة والبسيطة.

3. التحليل الشكلي (اللون– الخط– التكوين):

- **اللّون:** اعتمد الفنان على ألوان هادئة ومحايدة يغلب عليها الأبيض والرمادي والدرجات الفاتحة، وهي ألوان تعكس الصفاء والسكينة، وتمنح الجدارية طابعا بصريا بسيطا ومريحا، كما أنّ غياب الألوان الصاخبة ساهم في توجيه الانتباه نحو المضمون الرمزي أكثر من الزخرفة الشكلية.

- **الخط**: تظهر الخطوط المائلة والمنكسرة في تشكيل الجبال، مما يمنحها إحساسا بالقوة والصلابة، بينما جاءت الخطوط الأفقية في الماء أكثر هدوءا واستقرارا، وهو ما خلق توازنا بصريا بين الحركة والثبات داخل التكوين.
- **التكوين**: يقوم التكوين على مركزية الجبال باعتبارها العنصر المسيطر، في حين يشكل الماء عنصرا مكمّلا في الجزء السفلي، وقد ساهم الفراغ المحيط بالعناصر في خلق عمق بصري واضح، بينما حافظ الإطار الجانبي على وحدة العمل وانسجامه العام.

4. التحليل الدلالي والرمزي:

تحمل الجدارية دلالات رمزية متعددة ترتبط بالطبيعة والهوية المحلية فالجبال ترمز إلى الثبات والاستمرارية والقوة، كما تعكس الصمود والارتباط بالأرض، أما الماء فيمثل الحياة والبقاء والهدوء، ويعبر عن التوازن النفسي والتجدد المستمر.

كما أن انعكاس الجبال على سطح الماء يحمل دلالة رمزية مرتبطة بالتأمل والانسجام بين الظاهر والباطن، وبين الطبيعة المادية والبعد الوجداني. أمّا البساطة اللّونية والتجريد للنسبي فيعكسان رغبة الفنان في التركيز على جوهر الطبيعة لا على تفاصيلها فقط.

5. مدى ارتباط الجدارية بالبيئة المحلية:

ترتبط هذه الجدارية ارتباطا مباشرا بالبيئة المحلية لمدينة تلمسان، خاصة من خلال استحضارها للطبيعة الجبلية التي تعد من السمات الجغرافية البارزة للمنطقة، فالمرتفعات والفضاءات الطبيعية المفتوحة تشكل جزءا مهما من المشهد المحلي، مما يجعل الجدارية انعكاسا بصريا لهوية المكان.

كما أنّ وجودها في حي الكرز، وهو فضاء سكني وحضري، يمنحها وظيفة جمالية واجتماعية في آن واحد حيث تسهم في تحسين المشهد العمراني وتقديم صورة بصرية تعزز ارتباط السكان بمحيطهم الطبيعي والثقافي.

وتؤكد هذه الجدارية أنّ الفن الجداري لا يقتصر على التزيين فقط، بل يمثل وسيلة لحفظ الذاكرة البصرية للمكان، وتعزيز الوعي البيئي والجمالي لدى المجتمع، وهو ما ينسجم مع موضوع الدراسة حول الطبيعة كمصدر إلهام في الفن.





الشكل (4)[1]: البطاقة التقنية/ التقنية للجدارية

[1]–الشكل 4 من إعداد الطالبة اعتمادا على المعاينة الميدانية لجدارية "المشهد الريفي والمائي" للفنان نور الدين المصري، والتصوير الشخصي للمدرسة الابتدائية "الشهيد مرابط البشير" وسط مدينة تلمسان، 20 أفريل 2026 على الساعة 10:00 صباحا.

- **عنوان الجدارية:** جدارية المشهد الطبيعي بالمدرسة الابتدائية "الشهيد مرابط البشير" (1939-1956)
- **الموقع:** عند مدخل مدرسة الشهيد "مرابط بشير" بجانب الباب الرئيسي المؤدي إلى المدرسة، مدينة تلمسان.
- **النوع:** جدارية فنية خارجية
- **الموضوع:** الطبيعة الريفية و المائية كمصدر الإلهام الفني
- **الفنان:**نور الدين المصري، خطاط ورسام استقر بالجزائر تحديدا بمنطقة تلمسان (حسب التوثيق الميداني)
- **الإنجاز:**2020
- **الخامة المستعملة:** ألوان زيتية ممزوجة بزيت اللوحة (Medium/ Oil Binder) مطبقة على جدار إسمنتي خارجي مع استعمال تقنيات الرسم الجداري لضمان ثبات اللون ومقاومته العوامل المناخية.
- **الأبعاد:**متوسطة الحجم ومتناسبة مع مساحة الجدار
- **الأسلوب الفني:** واقعي تعبيري بطابع شعبي
- **الحالة الراهنة:** جدارية ظاهرة للعموم مع بعض آثار التآكل الناتجة عن العوامل المناخية.

1. الوصف العام للعمل:

تمثل هذه الجدارية مشهدا طبيعيا ريفيا يغلب عليه الطابع المائي، حيث يظهر نهر أو مجرى مائي واسع يحتل الجزء الأكبر من التكوين تحيط به عناصر طبيعية متنوعة مثل: الأشجار، النخيل، الأعشاب،

* نور الدين المصري: خطاط ورسام، إفادة شخصية للطالبة عبر تطبيق واتساب حول معلومات الجدارية ومكان إنجازها بتاريخ 22 أفريل 2026، على الساعة الثالثة مساءا.

والطيور، إضافة إلى منزل ريفي صغير وقارب بسيط على ضفة الماء، ويعكس هذا المشهد ارتباط الإنسان بالطبيعة من خلال حضور السكن والمركب داخل الفضاء الطبيعي.

اعتمد الفنان على بناء بصري بسيط ومباشر، يركز على وضوح العناصر أكثر من التعقيد التشكيلي، مما يمنح الجدارية طابعا شعبيا قريبا من المتلقي. كما ساعدت الألوان الزرقاء والخضراء على خلق إحساس بالهدوء والحياة، في حين أضفى حضور النخيل والماء بعدا بصريا يوحي بالخصوبة والاستقرار.

وتكتسب الجدارية أهمية من موقعها داخل الفضاء الحضري، حيث تساهم في تجميل الجدران وتحويلها إلى وسيلة للتعبير الفني والثقافي، كما تجعل من الطبيعة عنصرا حاضرا في الحياة اليومية للسكان.

2. العناصر الطبيعية الموظفة في الجدارية:

تضمنت الجدارية مجموعة من العناصر الطبيعية شكلت أساس التكوين الفني، ومن أبرزها:

- ✓ **الماء:** يمثل العنصر المركزي في العمل، حيث يظهر في شكل نهر أو بحيرة واسعة، ويرمز إلى الحياة والاستمرارية والنقاء.
- ✓ **النخيل والأشجار:** تعبر عن الخصوبة والارتباط بالأرض، كما تمنح المشهد طابعا ريفيا طبيعيا يعكس الاستقرار البيئي.
- ✓ **الأعشاب والنباتات:** تظهر على ضفاف الماء، وتضيف حيوية للمشهد وتؤكد حضور الطبيعة الحية.
- ✓ **الطيور:** ترمز إلى الحرية والانطلاق والحياة الطبيعية المفتوحة.
- ✓ **المنزل الريفي:** يمثل حضور الإنسان داخل الطبيعة، ويعكس العلاقة بين السكن والبيئة المحيطة.
- ✓ **القارب:** يرمز إلى الحركة والتنقل والتواصل مع المجال المائي، كما يعزز الطابع الواقعي للمشهد.

3. التحليل الشكلي (اللون– الخط– التكوين):

- **اللّون:** هيمنت الألوان الباردة مثل الأزرق والاخضر على الجدارية، وهي ألوان ترتبط بالماء والطبيعة والهدوء، كما ظهر اللّون الأبيض والاصفر بدرجات خفيفة لإبراز الإضاءة والبيت الريفي، هذا التنوع اللّوني ساعد على خلق توازن بصري وإحساس بالصفاء.
- **الخط:** اعتمد الفنان على خطوط منحنية وانسيابية في رسم الماء والنباتات، مما أضفى حركة طبيعية على المشهد، بينما ظهرت الخطوط المستقيمة والمائلة في بناء المنزل والقارب، وهو ما خلق توازنا بين الطبيعة والعنصر الإنساني.
- **التكوين:** يقوم التكوين على مركزية العنصر المائي، حيث يحتل النهر الجزء الأكبر من العمل، بينما تتوزع بقية العناصر مثل النخيل والمنزل والقارب بشكل متوازن حوله، وقد ساهم هذا التنظيم في خلق وحدة بصرية واضحة وسهلة القراءة.

4. التحليل الدلالي والرمزي:

تحمل الجدارية دلالات رمزية مرتبطة بالطبيعة والحياة الريفية، فالماء يرمز إلى الحياة والتجدد والاستمرارية، بينما يشير النخيل إلى الخصوبة والعطاء والارتباط بالأرض، أمّا الطيور فتعبّر عن الحرية والانطلاق، في حين يمثل القارب رمزا للحركة والسفر والتواصل.

ويعكس المنزل الريفي حضور الإنسان داخل الطبيعة بما يدل على التعايش والانسجام بين الإنسان ومحيطه البيئي، كما أنّ المشهد العام يوحي بالهدوء والاستقرار النفسي، ويجعل من الطبيعة فضاءًا للراحة والجمال.

وبذلك تتحوّل الجدارية إلى رسالة بصرية تؤكد أهمية الطبيعة في تشكيل الحياة اليومية والهوية الثقافية وتبرز العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان.

5. مدى ارتباط الجدارية بالبيئة المحلية:

ترتبط هذه الجدارية بالبيئة المحلية من خلال استحضارها لعناصر طبيعية مألوفة في المحيط الريفي والحضري، مثل: الماء، الأشجار، النخيل، والفضاءات المفتوحة، وهي عناصر تشكل جزءا من الذاكرة البصرية للمجتمع المحلي.

كما أنّ تصوير المنزل الريفي والقارب يعكس نمط الحياة التقليدي المرتبط بالماء والزراعة والعيش البسيط، مما يمنح الجدارية بعدا اجتماعيا وثقافيا إلى جانب بعدها الجمالي.

ووجود هذه الجدارية في الفضاء العام يجعلها وسيلة فنية لتعزيز الوعي البيئي والجمالي، حيث يتحول الجدار إلى مساحة للتعبير عن الهوية المحلية، وتأكيد حضور الطبيعة كمصدر دائم للإلهام الفني.

ومن هذا المنطلق، تمثل الجدارية نموذجا واضحا للعلاقة بين الفن الجداري والبيئة المحلية، حيث يصبح العمل الفني مرآة للمكان وحافظا لذاكرته البصرية والثقافية.

خاتمة

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة يتّضح أنّ الطبيعة شكّلت ولا تزال أحد أهم منابع الإلهام في الفن الجداري، حيث أسهمت بعناصرها المتنوعة في بناء خطاب بصري غني بالأبعاد الجمالية والرمزية. وقد أظهرت المعالجة النظرية أن مفهوم الطبيعة لم يكن ثابتا، بل تطوّر عبر الفكر الإنساني والفلسفي، ليأخذ أشكالا متعددة انعكست بدورها في الممارسات الفنية عبر التاريخ.

كما بيّنت الدراسة أنّ الفن الجداري، بوصفه وسيطا تعبيريا مفتوحا، استطاع استيعاب هذا الزخم الطبيعي وتحويله إلى صياغات تشكيلية تحمل دلالات تتجاوز البعد الجمالي إلى أبعاد ثقافية وهوياتية، وفي هذا السياق، كشفت الدراسة التطبيقية لجداريات مدينة تلمسان عن حضور لافت للعناصر الطبيعية، التي لم توظف بشكل اعتباطي، بل جاءت محمّلة برموز تعكس خصوصية البيئة المحلية وتعبر عن الذاكرة الجماعية للمجتمع.

وقد أكّدت نتائج البحث صحة الفرضيات المطروحة، إذ تبيّن أنّ توظيف الطبيعة في الفن الجداري يسهم في تعزيز الهوية الثقافية المحلية، ويمنح العمل الفني بعدا دلاليا عميقا، يجمع بين الجمالية والرمزية. كما أظهرت الدراسة أنّ تنوع الأساليب والتقنيات المعتمدة في معالجة الطبيعة يعكس ثراء التجربة الفنية المعاصرة وقدرتها على التجديد.

ورغم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، فإنّها لا تدّعي الإحاطة الشاملة بكل جوانب الموضوع، نظرا لاتساعه وتشبعه، وهو ما يفتح آفاقا لبحوث مستقبلية يمكن أن تتناول مجالات أخرى، كدراسة مقارنة بين مدن مختلفة، أو تحليل التحولات الحضرية على الفن الجداري.

التوصيات:

انطلاقا من نتائج هذه الدراسة، يمكن اقتراح جملة من التوصيات:

- تشجيع الدراسات الأكاديمية التي تتناول الفن الجداري من زوايا متعددة، خاصة ما يتعلق بعلاقة الطبيعة والهوية الثقافية.

خاتمة:

- دعم المبادرات الفنية التي تعنى بإدماج العناصر الطبيعية في الجداريات الحضرية، لما لها من دور في تعزيز الوعي الجمالي لدى المجتمع.
- الاهتمام بتوثيق الجداريات المحلية، خاصة في مدينة تلمسان، باعتبارها جزءا من الذاكرة البصرية والثقافية.
- تعزيز التكوين الفني في مجال تقنيات الجدارية، بما يتيح للفنانين تطوير أساليبهم في معالجة العناصر الطبيعية.
- فتح المجال أمام مشاريع فنية مشتركة تجمع بين الفنانين والهيئات الثقافية، بهدف الحفاظ على الخصوصية المحلية وإبرازها بصريا.

وعليه يمكن القول، إنّ الطبيعة تظل ركيزة أساسية في الإبداع الفني، ومصدرا متجددا يمد الفنان بآفاق لا متناهية من التعبير، مما يجعل دراستها في سياق الفن الجداري ضرورة علمية وجمالية لفهم أعمق للعلاقة بين الإنسان ومحيطه.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

1. ابن سينا، الشفاء (الطبيعيات)، تحقيق إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982.
2. ابن منظور، لسان العرب، مادة (طبع)، دار صادر، بيروت، د. ت، ج 8.
3. الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985.
4. حامد أبو الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1996.
5. ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، 1985.
6. ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة جميل صليبا، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1992.
7. سبينوزا، الأخلاق، ترجمة جميل صليبا، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1994.
8. الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ج 2.
9. الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق علي بوملحم، دار المشرق، بيروت، 1993.
10. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (طبع)، دار الفكر، بيروت، د. ت.
11. أرسطو، الطبيعيات، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، 1980
12. أرسطو، كتاب الطبيعة (فيزياء)، ترجمة عبد القادر قنيني، بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة (2)، 1985.
13. أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، البيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.

المراجع العربية:

1. آدمين، آرون، الفنون والإنسان، ترجمة حمزة محمد الشيخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1965.
2. أفداء حسين أبو دسة، خلود بدر غيث، تاريخ الفن عبر العصور، دار الإعمار العلمي للنشر والتوزيع، ط 1، 2012.
3. بركات سعيد محمد، الفن الجداري، عالم الكتب، الطبعة 1، القاهرة، 2008.

4. جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت بين النّاس، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة، 1958.

5. الدكتور بركات سعيد محمد، الفن الجداري (الخامة، العرض، الموضوعات)، عالم الكتب، الطبعة 1، القاهرة، 2008.

6. دكتور محمود البسيوني، التجريد في النص، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950.

7. ريد هربرت، معنى الفن، دار الشؤون الثقافية العامة، ترجمة سامي، بغداد، ط 2، 1986.

8. عبد الحميد شاكر، تاريخ الفن القديم، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005.

9. عبد السلام محمد عبد العالي، الهوية الثقافية الفنية وتحديات العصر، القاهرة، دار الفكر، 2010.

10. عز الدين إسماعيل، الفن والإنسان، مكتبة غريب، القاهرة، 1977.

11. محمد أنور شكري، الفن المصري القديم منذ أقدم عصوره حتى نهاية الدولة القديمة، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

12. محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

13. نرمين فتحي المصري، الجداريات المعاصرة وتنمية الثقافة البصرية في المجتمع المصري، الفنون الجميلة في مصر في 100 عام من الإبداع، القاهرة.

14. هربرت ريد، معنى الفن، ترجمة سامي خشبة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة.

15. وزارة الثقافة الجزائرية، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، الجزائر.

16. وزارة الثقافة الجزائرية، دليل المؤسسات الثقافية في الجزائر، الجزائر.

17. غرانت كيستر ،الفن و البيئة ، الممارسات الفنية المعاصرة و الإستدامة، ترجمة أحمد خالد ،دار الفكر المعاصر ، القاهرة 2018، صفحة 112-118

الرسائل الجامعية:

1. وديعة بنت عبد الله بن أحمد بوكر، المفاهيم الفنية والفلسفية لفن الواقعية العليا كمصدر لإثراء التصوير السعودي المعاصر، رسالة مقدمة إلى قسم التربية الفنية ضمن متطلبات الحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في التربية الفنية رسم وتصوير.
2. بلقيس سيد سلطان، الرمزية في التصوير المصري، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، 1988.
3. زينب عمار صبيح، الواقعية في الرسم العالمي المعاصر، بحث مقدم إلى جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، قسم الفنون التشكيلية، 2020.
4. عباس رأفت عمر إبراهيم، الخلطات والأساليب المستخدمة في فن التصوير الجداري، رسالة ماجستير في الفنون الجميلة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم، 2016.
5. لخضاري وردة ، الهوية الثقافية في الفن التشكيلي،مذكرة ماستر ،كلية الأدب و الفنون ،جامعة مستغانم ، الجزائر ،2021، صفحة 34-36

المجلات العلمية المحكمة:

1. أسامة عبد العظيم السعيد مصطفى، فن الجداريات: أصوله وتقنياته، مجلة بحوث التربية النوعية، العدد 28، 2013.
2. آلاء الله أحمد عبد الرحمن عميرة، الرأسمالية الخضراء والتنمية المستدامة في الفلسفة الإيكولوجية وانعكاسها في الفن المعاصر، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، المجلد 22، العدد 1، 2021.
3. بن داود إبراهيم، جمال عبد الكريم، البعد الحضاري التكاملي بين حاضرة تلمسان والأندلس، مجلة التراث، جامعة زيات عاشور، الجلفة، العدد 2، الجزائر، 2012.
4. بن عزة حياة، الجداريات بوصفها لغة بصرية متنوعة داخلية محققة عضوية المكان، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد 25، 2022.

5. جميل حمداوي، الفن الجداري بين الجمالية والوظيفة الاجتماعية، مجلة الفنون التشكيلية، العدد 12، 2014.

6. حسين ميلاد أبو شعالة، الفن التشكيلي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، كلية الآداب والعلوم قصر الأخبار، جامعة المرقب، المجلد 8، العدد 16، 2020.

7. حلا الصابون وعلي السرميني (2009)، الفن الجداري الأستوري، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 25، العدد 1.

8. دنوني نادية، بوزار حبيبة، رمزية التصوير الجداري في الفن التشكيلي الجزائري، مجلة النّص، المجلد 8، العدد 3، 2021.

9. دينا يسرى سليمان درغام، دور التجريدية التعبيرية في ابتكار معالجة جدارية لميدان الخريطة بمحافظة الدهلقية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المجلد 9، العدد 24.

10. رانيا محمد رزق، النسق الزخرفي للخط في بحوث في التربية الفنية والفنون، مختارات من الفن الحديث كمدخل لإثراء التصميم الزخرفي، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، المجلد 23، العدد 3.

11. زهرة أحمد صالح الغامدي، جداريات فنية معاصرة قائمة على سياقات تعبيرية غير تقليدية للخامة، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد 78، 2026.

12. سحر بطرس نجيب، دور التصوير الجداري في تنمية الوعي الجمالي والبيئي في القرية المصرية بأسيوط في ضوء مبادرة حياة كريمة، مجلة الفنون والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، المجلد 8، العدد 14، 2024.

13. سحر شمس الدين محمد محمود، فن التصوير الجداري في مصر الفرعونية، وأثره على تصميم الجداريات الفنية الزجاجية المعاصرة، مجلة العمارة والفنون، العدد 8، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، مصر، 2017.

14. عبد الرحيم حمادي المهدي، الرمزية في رسومات الإنسان البدائي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 29، العدد 9، 2021.

15. ليلى بن آباجي، مآذن تلمسان دراسة فنية معمارية، مجلة منبر التراث الأثري، المجلد 1، العدد 1، 2012.

16. محمّد بودور، مفهوم البيئة وأهم أنواعها في التشريع الجزائري، مجلة السياسة العالمية، مجلد 6، العدد 2، 2022.

17. محمد حلمي حامد، لمياء وجدي عبد الغفار، محمد عبد الحليم بدر علي خان، المجلة العلمية للدراسات والبحوث التربوية والنوعية، المجلد 3، العدد 6، 2018.

18. محمد عبد العال عبد السلام، الهوية الثقافية الفنية وتحديات العصر، بحث منشور في مؤتمر كلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية، 1995.

19. مديرية السياحة والصناعة التقليدية لولاية تلمسان(معلومات جغرافية وتاريخية للمدينة)، تقرير حول المؤهلات الطبيعية والثقافية لولاية تلمسان، نشر إلكتروني 2023، تاريخ الدخول (14 أفريل 2026).

20. مصطفى عبد العظيم السعيد، نشأة وتطور الفن الجداري عبر العصور المختلفة، مجلة العمارة والفنون، العدد 12، 2013.

21. منى حيدر علي، تقنيات التصوير الجداري، مجلة الأكاديمية، العدد 3، 2019.

المراجع الأجنبية:

1. Elite Faure, History of Art, the spirit of the forms, Garden city publishing, 1937.
2. Kastner, Jeffrey (ED), Land and environmental Art, London, (2), Phaidon Press, 2nd edition, 2018.
3. Press et canal, les villes d'Algerie, Tlemcen.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
الشكر والتقدير	
مقدمة	أ
الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للطبيعة في الفن	
المبحث الأول: مفهوم الطبيعة في الفكر الإنساني والفلسفي	5
مفهوم الطبيعة لغويًا واصطلاحيًا.	5
الطبيعة في الفكر الفلسفي (اليوناني – الإسلامي – الحديث).	7
العلاقة بين الإنسان والطبيعة.	10
المبحث الثاني: الطبيعة كمصدر إلهام فني عبر التاريخ	13
الطبيعة في الفنون البدائية والقديمة.	13
الطبيعة في الفن الغربي (من الكلاسيكية إلى الحداثة).	15
الطبيعة في الفن المعاصر.	16
المبحث الثالث: الجدارية كوسيط فني تعبيري	17
مفهوم الفن الجداري.	17
نشأة وتطور الجداريات عبر العصور.	18
خصائص الجدارية ووظائفها الجمالية والاجتماعية.	20
الفصل الثاني: الطبيعة في الفن الجداري المعاصر	
المبحث الأول: تمثلات الطبيعة في الجداريات المعاصرة	23
العناصر الطبيعية (النبات، الحيوان، الماء، الجبال...).	23

الرموز الطبيعية ودلالاتها البصرية.	24
البعد البيئي والإنساني للطبيعة في الجدارية.	26
المبحث الثاني: الأساليب والتقنيات في معالجة الطبيعة جداريًا	29
الأسلوب الواقعي.	29
الأسلوب التجريدي.	31
الأسلوب التعبيري والرمزي.	33
التقنيات والخامات المستعملة في الجداريات.	34
المبحث الثالث: الجدارية والهوية الثقافية المحلية	39
الطبيعة كحامل للهوية.	39
العلاقة بين الجدارية والمحيط العمراني.	41
دور الجدارية في تشكيل الوعي الجمالي والبيئي.	43
الفصل الثالث: الدراسة الميدانية – جداريات مدينة تلمسان نموذجًا	
المبحث الأول: الإطار العام لمدينة تلمسان	48
لمحة تاريخية وجغرافية عن مدينة تلمسان.	48
الخصوصية الطبيعية والبيئية للمدينة.	50
الحراك الفني والتشكيلي في تلمسان.	52
المبحث الثاني: منهجية الدراسة الميدانية	53
المنهج المتبع (الوصفي التحليلي).	53
عينة الدراسة (اختيار الجداريات).	54

أدوات البحث (الملاحظة، التصوير، التحليل الفني).	54
المبحث الثالث: تحليل نماذج مختارة من الجداريات	56
الشكل الاول	56
الشكل الثاني	60
الوصف العام للعمل.	61
العناصر الطبيعية الموظفة.	62
التحليل الشكلي (اللون، الخط، التكوين).	62
الشكل الثالث	64
التحليل الدلالي والرمزي.	67
مدى ارتباط الجدارية بالبيئة المحلية.	67
الشكل الرابع	68
خاتمة عامة	74
قائمة المصادر والمراجع	77
فهرس الموضوعات	83
ملخص	

ملخص المذكرة:

تتناول هذه الدراسة موضوع الطبيعة كمصدر إلهام في الفن الجداري من خلال تحليل حضور العناصر الطبيعية في الأعمال الجدارية ودورها في التعبير عن الهوية الثقافية المحلية، مع اتخاذ مدينة تلمسان كنموذج تطبيقي.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتطرقت إلى الإطار المفاهيمي للطبيعة، وتمثلاتها في الفن الجداري المعاصر، إضافة إلى دراسة ميدانية لجداريات مدينة تلمسان.

وتوصّلت الدّراسة إلى أنّ الطبيعية تعد مصدرا رئيسيا للإلهام في الفن الجداري، حيث تسهم في إنتاج أعمال ذات بعد جمالي ورمزي يعكس الخصوصية الثقافية المحلية.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة؛ الفن الجداري المعاصر؛ الإلهام الفني؛ الهوية الثقافية المحلية؛العناصر الطبيعية؛ التعبير البصري؛ الجدارية؛ تلمسان.

Dissertation Summary:

This study addresses the theme of nature as a source of inspiration in mural art through the analysis of the presence of natural elements in mural artworks and their role in expressing local cultural identity, taking the murals of the city of Tlemcen as an applied model.

The study relied on the analytical method and employed concepts related to nature and its representations in contemporary mural art, in addition to a field study conducted on the murals of the city of Tlemcen.

The results of the study showed that nature represents a fundamental source of inspiration in mural art, as it contributes to the creation of artworks with aesthetic and symbolic dimensions that reflect the local cultural identity.

Keywords: Nature; Contemporary mural art; Artistic inspiration; Local cultural identity; Natural elements; Visual expression; Mural; Tlemcen.

Résumé du mémoire:

Cette étude traite du thème de la nature comme source d'inspiration dans l'art mural, à travers l'analyse de la présence des éléments naturels dans les œuvres murales et de leur rôle dans l'expression de l'identité culturelle locale, en prenant comme modèle appliqué les fresques murales de la ville de Tlemcen.

L'étude s'est appuyée sur la méthode analytique et a mobilisé les concepts liés à la nature et à leurs représentations dans l'art mural contemporain, en plus d'une étude de terrain portant sur les fresques de la ville de Tlemcen.

Les résultats de l'étude ont montré que la nature constitue une source essentielle d'inspiration dans l'art mural, puisqu'elle contribue à la production d'œuvres à dimensions esthétiques et symboliques reflétant l'identité culturelle locale.

Mots-clés : Nature ; Art mural contemporain ; Inspiration artistique ; Identité culturelle locale ; Éléments naturels ; Expression visuelle ; Fresque mural ; Tlemcen.